الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومي



الاشتراكات ١٥٠ مـ سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

التطوير الجامعي

• للدكتور محمد احمد خلف الله •

— ٢ —

قلنا فى مقالنا السابق ان التطوير الجامعى لن يكون محققا لاهدافه الا اذا تخلى عن الشكليات ، وآمن بمنطق الحياة ، وادرك الدور الذى يجب ان تلعبه الجامعة فى حياتنا التى نرجو لها نموا وازدهارا .

وقلنا أيضا ان الأسس التى يجب ان يقوم عليها التطوير هى .

١ — الأستاذ

٢ — الطالب

٣ — المنهج الذى يربط الحياة فى المجتمع بآخر ما وصل اليه العلم من نظم ، وقوانين ، ونظريات .

واليوم نريد ان نتحدث عن الخطوط الرئيسية التى يمكن ان نتعرف عليها من حياة كل من الاستاذ والطالب والمنهج ، والتى يمكن الاعتماد الكافى عليها فى احداث عملية التطوير .

والاستاذ هو نقطة الارتكاز وحجر الزاوية فى كل تطوير . ان مهمته تفوق مهمة اى انسان آخر يشتغل فى ميادين التربية والتعليم .

ان عليه ان يسمو بالجامعة عن كونها معهدا علميا لتخريج الفنيين والمهنيين الى كونها مؤسسة تربوية قامت بمهام خطيرة خلال تاريخها الطويل — تلك هى مهمة صنع الرجال وتكوين القادة .

والاستاذ ايضا هو العامل البشرى الذى يستطيع ان يبذل من ذات نفسه ما يجعل التعليم الجامعى ناجحا ومحققا لأهدافه .

انه وحده القادر على ان يحيل النظم والمناهج الى مواد حية تمكث فى الأرض وتنفع الناس . انه الذى يؤكد لها من الحياة فى المجتمع حين يثبتها فى اذهان الطلاب ، وحين يربط بينها وبين الحياة اليومية لجميع الناس .

والاستاذ البناء ، الشاعر لمسئولياته ، القادر على القيام بها ، هو وحده الذى يحقق الوحدة القومية . وليس من الحق فى شيء الذهاب الى ان النظم والمناهج والامتحانات حين تتوحد فى الاقطار العربية تقدر على احداث هذه الوحدة القومية .

ان الاستاذ البناء الشاعر بالمسئولية القادر على القيام بها هو وحده القادر على تكوين الوحدة القومية .

وايجاد هذا الاستاذ ليس شاقا ولا عسيرا فحسن الاعداد يحقق لنا كل شيء .. واذا كانت جمهوريتنا العربية قد خططت تخطيطا تاما وكاملا لاعداد هذا الاستاذ عن طريق البعثات الخارجية الى بلدان العالم التى سبقتنا فى مجال التقدم العلمى والحضارى ، واذا كانت جمهوريتنا قد آمنت بان ضمان العيش الكريم للاستاذ الجامعى هو الذى ييسر له تنشئة اجيال من الطلبة على الكرامة واحترام القيم ، فان عليها واجبا آخر اهم فى نظرى من كل ما تقدم هى ان تساعد الاساتذة الجامعيين .

على ان يعيدوا للفظ الاستاذ حرمته وقداسته ، وما ينطوى عليه معنى الاستاذية من بذل وتضحية ، ومن ارشاد ثقافى وخلقى ، ومن رعاية عقلية

وروحية حتى لا تحيل الاساتذة المناهج الى مواد ميتة قاتلة تنفث السم فى عقول الطلاب وتحيلهم الى جثث هامدة ليس فيها اى شيء يبعث على الهمة والنشاط فضلا عن الخلق والابداع .

٢ — ونحن حين ننتقل الى الحديث عن **الطالب** وحين نجعل الحديث عنه تاليا للحديث عن الاستاذ فانما نفعل ذلك ايمانا منا بان التعليم الجامعى الناجح هو الذى يقوم على اتصال شخصية بشخصيه .

اتصال شخصية فاعلة مكونة هى شخصية الاستاذ بشخصية منفعلة قابلة للتكوين هى شخصية الطالب .

ومعنى ماتقدم ان التعليم الجامعى الناجح لا يكون ابدا فى اتباع برامج ، ولا يكون ابدا فى حفظ مواد ، ولا يكون ابدا فى اجتياز امتحانات ، ولا يكون ابدا فى هذه الثلاثة معا ، وانما يكون بتفاعل يتم بين العنصرين الاساسيين فى التعليم الجامعى وهما الاستاذ والطالب .

هذا الذى نقول ينتقل بنا الى نقطة جديرة بالاهتمام وهى ان الكثرة العددية لا تخلق ابدا تعليما جامعيا ، ولا تمكن ابدا الجامعة من اداء مهمتها الكبرى وهى صنع الرجال ، وتكوين القاده .

ان علينا ان نعيد النظر فى مسالة القبول بالجامعات والا ظل مستوانا اقل من متطلبات حياتنا ، وظللنا فى التخلف الى ما شاء الله .

يجب ان نختار للجامعة ما نتوسم فيه الصلاحية لأن يصبح رجلا يقود الحياة فى ميدانه .

واختيار هؤلاء الطلبة يتطلب منا ان نعيد الى الوجود مرة ثانية السنة الاعدادية .

نعيدها لا فى شكل سنة اعدادية لكل كلية ملحقة بها ، وانما على اساس سنة اعدادية منفصلة تحتل مبنى خاصا بها — او مبنيين خاصين احدهما للعلوم والآخر للآداب . ويقوم بالتدريس فى هذين الاساتذة الكبار الذين يجيدون التدريس ويجيدون اختبار الطلاب للجامعات .

والاساسيات فى الدراسات الانسانية والدراسات المادية او العلمية هى التى تدرس لهؤلاء الطلاب ويقوم الاختبار او الامتحان على اساس تفتح العقلية وادراك سنن الحياة لا على اساس حفظ المواد .

ان الطلاب الذين يجتازون هذه المرحلة هم الاحق بالقبول فى الجامعات . أما غيرهم فيوزعون على المعاهد او مراكز التدريب او ما اشبه .

وحتى لا يحدث هذا النوع من التفرقة الطبقية نطالب بأن يكون الراتب لكل من المتخرجين فى الجامعة او فى المعاهد واحدا . كما نطالب بأن تكون مدة الدراسة فى الجامعات وفى المعاهد واحدة .

كما يجب ان تحدث قيما اجتماعية تكاد تكون متساوية لكلا النوعين من التعليم . وهذا يتم حين يشعر كل واحد بانه مطلوب للمشاركة فى عملية بناء الوطن ، وان كل انسان ميسر لما خلق له .

***

٣ — بقيت كلمة نسوقها عن **المنهج** وهى دعوة الاساتذة الجامعيين الى الحرص على ان تظل المناهج متصلة بالحياة ومنسجمة مع الحاجات الاساسية التى تتطلبها الحياة .

ان التربية ليست الا الاعداد للحياة .

الاعداد لحياة معينة محدودة الظروف متلائمة مع الحياة الانسانية .

وهذا الاعداد يقتضي عقلية متطورة تسعى الى سبر غور المجتمع ، وتتبع اتجاهاته .

والاساتذة الجامعيون الشاعرون بمكانتهم ، والمقدرون لمسئوليتهم ؛ اولى الناس باحداث كل ذلك .

انا نريد ان يظل الاستاذ هو المؤثر الاكبر فى حياة الطالب ، وفى الحياة الجامعية ، وفى الحياة الاجتماعية .

والسلام

دكتور محمد احمد خلف الله

الدعوة الى التجديد الدينى

بقلم محمد محمد المدنى

- ٢ -

من القواعد الشرعية التى استنبطها العلماء من نصوص الشريعة قولهم « **الضرورات تبيح المحظورات** » .

وقد استفيدت هذه القاعدة من ان القرآن الكريم يستثنى حالات الاضطرار من تحريم ماحرم :

فمن ذلك قوله تعالى فى تحريم بعض الطعام :

«انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم» .

« وقد فصل لكم ماحرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » .

ومن ذلك قوله تعالى فى تحريم الارتداد الى الكفر بعد الايمان :

« من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين» .

ومن ذلك قوله تعالى فى تحريم اتخاذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير » .

فلما أباح الله تعالى اكل المحرمات فى حالة الاضطرار ، وسمح بالكفر به — وهو نقيض الاصل الاول فى الشرائع كلها — وأجاز للمؤمنين أن يتولوا الكافرين بقدر مايتقون ضررهم ، ويدرءون عن انفسهم شرهم ، حمل العلماء على هذا الاصل فروع الشريعة كلها ، فكل محرم يفعله المكلفون عن اضطرار او اكراه او اتقاء شر وضرر ، فهو من جملة ماتدل عليه هذه الآيات فى المعنى ، وان كان هناك اختلاف فى تطبيق هذه القاعدة من حيث ما يكون به الاضطرار او ما يكون فيه الاكراه ، او ما يتوقى من الضرر والمفسدة .

وقد دلت السنة الصحيحة ايضا على هذه القاعدة بما ورد منها فى الموضوعات التى ذكرت فى هذه الآيات .

ومن ذلك ماذكره اهل التفسير من ان قوله تعالى « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » نزلت فى عمار بن ياسر ، لأنه قارب بعض ما طلبوه منه — قال ابن عباس : أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما ، فعذبوهم، وربطت سمية بين بعيرين ، ووجىء قبلها بحربة — حتى خرجت الحربة من فمها فقتلت — وكانوا يقولون لها : انك اسلمت من أجل الرجال ، وقتلوا زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين فى الاسلام ، وأما عمار فأعطاهم ماارادوا بلسانه مكرها ، فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له «كيف تجد قلبك» قال «مطمئن بالايمان» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فان عادوا فعد» .

وفى هذا الخبر موقفان : **احدهما** موقف العزيمة والتأبى على الكفر الى حد التضحية بالنفس ، وقد وقفه كل من هذين الأبوين اللذين كانا أول شهيدين فى الاسلام ، ولا شك أن هذا الموقف افضل ، وانهما به أعظم درجة عند الله ، **والآخر** موقف الابن — وهو عمار — وقد رأى ما رأى من الهول ، وأيقن بمصير كمصير ابيه وأمه ، وادرك بفطرته أن الله يبيح له أن يأخذ بالرخصة فنطق بما الجأوه اليه مستمسكا بما فى قلبه من الايمان .

والموازنة بين الموقفين ، واختيار أحدهما متروك للمكلفين على حسب هممهم وعزائمهم ، ولكن الشريعة

لا توجب ولا تمنع ، بل تلاحظ الوسطية فترخص لمن شاء ان يأخذ بالرخصه ، وتفسح المجال لمن اراد ان يسلك مسالك الابطال .

وفي الاشاده بموقف البطولة وبيان فضله – وان جازت الرخصـه – ما روى عن خباب بن الارت قال :

« شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده له في ظل الكعبه فقلت : الا تستنصر لنا ؟ الا تدعو لنا ؟ فقال : قد كان من قبلكم يوجد الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على راسه ، فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الامر – يريد الاسلام – حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ! » .

وفي الموقف الاخر ، موقف الاخذ بالرخصـة حتى الى جانب من اخذ بالعزيمه – ما روى من ان عيونا لمسيلمه الكذاب أخذوا رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فذهبوا بهما الى مسيلمة فقال لأحدهما : اتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : اتشهد أني رسول الله ؟ قال نعم ، فعفا عنه واطلقه ، وقال للاخر : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : وتشهد اني رسول الله ؟ قال : أنا أصم لا اسمع ، فقدمه وضرب عنقه ، فجاء الذى نجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت ! قال : وما أهلكك ؟ فذكر الحديث ، قال « أما صاحبك فأخذ بالثقة » وفي روايه : أما صاحبك فمضى على ايمانه – وأما أنت فاخذت بالرخصة على ما انت عليه الساعة » قال : أشهد انك لرسول الله ، قال : « أنت على ما أنت عليه » .

وكما استنبط العلماء من نصوص الكتاب والسنة قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » ؛ استنبطوا منهما أيضا قاعدة أخرى هي قولهم « الضرورات تقدر بقدرها » .

وقد استنبطوا ذلك من قوله تعالى :

« فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، و « فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم » و « ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة » « ويحذركم الله نفسه » .

قالوا : ذكر الله المضطر فيجب أن تتحقق الاضطرار لأنه حالة تعلقت بها الاباحه على خلاف حكم الاصل وهو التحريم ، فالتحريم الاصلي في الاحوال العاديه قائم بيقين ، فلا يجوز الخروج عنه الى الحل الا اذا تبينت حالة الحل بيقين .

وقالوا : بين الله ان المضطر الذى يباح له ما حرم هو غير الباغي وغير العادى . فمن بغى اى طلب واشتهى المحرم ، متبعا هواه ، متسترا وراء ظاهر الضرورة ، اي عدا أي تجاوز قدر الضرورة ، وتوسع فيها بدون مقتض ، فانه يكون متجاوزا حده ، متلاعبا بآيات الله .

ويمكن ان يمثل لذلك بأمثلة من واقع حياتنا ، منها :

١ – ان الشارع حرم الخمر ، ولعن شاربها ، وعاصرها ، وبائعها ، ومشتريها .. الخ .

وقد أبيح شربها عند الضرورة كازالة الغصة .

وقال القرطبي : « فان غص بلقمة فهل يسيغها بخمر أولا ؟ فقيل : لا ، مخافة أن يدعى ذلك ، واجاز ذلك ابن حبيب ، لأنها حالة ضرورة ، قال ابن العربي : اما الغاص بلقمة فانه يجوز له فيما بينه وبين الله تعالى ، وأما فيما بيننا فان شاهدناه فلا تخفى علينا بقرائن الحال صورة الغصة من غيرها ، فيصدق اذا ظهر ذلك ، وان لم يظهر حددناه ظاهرا وسلم من العقوبة عند الله تعالى باطنا » – (ا هـ – أنظر ص ٢٢٨ ج ٢ من تفسير القرطبي) .

واقول : ان مبدأ اباحة الخمر لازالة الغصـة مسلم في ذاته لمكان الضرورة ، ولكن الاختلاف انما هو من جهة تحقق الضرورة أو عدم تحققها ، فمن رأى أن أهل العبث ربما استغلوا هذه الاباحة فيدعي أحدهم أنه انما شرب لأنه غص بلقمة فكان لابد له من اساغتها ، قال : لايجوز ، لأن الأمر مظنة كذب وادعاء ، ولأن في تكذيبه سد ذريعة من ذرائع الفساد ، ومن رأى حمل حال المؤمن على الصلاح والتحرز قال بالجواز ، وأما ابن العربي فجعل الأمر الى القرائن الدالة على صدق الدعوى أو كذبها ، وفرق بين حكم هذا الشارب في الظاهر والباطن اذا حددناه حد الشرب .

ولو فطن ابن العربي الى قاعدة (درء الحدود بالشبهات) لما كلف نفسه كل ذلك ، فان المشرع ليس من روحه وما ألف منه ، تشجيع الاسراع في تنفيذ الحدود ، ولذلك يشترط في ثبوت الزنا – مثلا – شروطا لا تكاد تتحقق ، حتى لا يكثر المحدودون

بالزنا ، وكأنه يكل أمر العقوبة في أكثر فعلات هذه الجريمة الى الجزاء الالهى ، لا الى الحد البدني ، وقد قرر الحنفية ان من أدعى ملكية المال الذى سرقه أو ان له حقا فيه ، فان ذلك يدرأ عنه الحد ولو كانت دعواه على خلاف الظاهر — ولا بينة لها ، درءا للحدود بالشبهات ·

وينبغي ان يعلم هنا ان درء الحد بالشبهة لايعفي من عقوبة التعزير ، التى هي عقوبة تقديرية مفوضة الى ولى الأمر ، اذا ثبت أن في الأمر ما يستحق عقوبة أدنى من الحد ·

هذا كله فيما يتعلق بثبوت حالة الضرورة وتحققها أو عدم تحققها ، وما يترتب على ذلك من إباحة ، أو حد ، او عقوبة أدنى من الحد ·

٢ — **وقد سمعت** انه أثير فى بعض الاندية — وهو بالتحديد : نادى نقابة المهن التعليمية بالجزيرة — سؤال أو موضوع خلاصته : ان الجمهورية الجزائرية الحاضرة امامها مشكلة تتصل بمحصولها الاساسى من زراعة العنب ، وان اقتصادها القومى يعتمد على هذا المحصول الرئيسى اعتمادا كبيرا ، وانهم مضطرون الى صناعة الخمر وبيعها لغير المسلمين ممن يستبيحون شربها ، فهل يجوز ذلك لأهل الجزائر على اعتبار ان هذه التجارة المحرمة تقضى بها ضرورة الاقتصاد الوطنى العام ؟ أو يجب عليهم اهدار هذه الاموال وعدم الاعتداد بمثل هذه الضرورة ؟

سمعت ان هذا الموضوع أثير هناك ، وان اثارته هنا كانت ترديدا لذلك ، وان المتحدثين في هذا الموضوع قد اختلفوا فمنهم من مال الى الاباحة ، ومنهم من جزم بالمنع ·

فاى الفريقين هو المصيب ؟

ورأيى أن مثل هذا الامر لا يقضى فيه باجتهاد فردى ، ولكن يجب أن يعرض على مثل « مجمع البحوث الاسلامى » لينظر فى حالة الجزائر ، وهل هى حقا فى موقف اضطرار لا سبيل لها الى التخلص منه الا بذلك ، وما هى محصولاتها الرئيسية وغير الرئيسية ، وهل يمكنها التحول الى انتاج محصولات مباحة يعتمد عليها اقتصادها ، وفى مدى كم من الأعوام يمكنها ذلك ، وهل يمكنها الاتجار فى العنب بغير صناعته خمرا ولو ببعض التضحية المادية مراعاة لانها دولة اسلامية من اهم الشعائر فيها تحريم الخمر شربا وصناعة وتجارة ·

اعتقد أن الأمر لو درس على هذه الاسس لاتضح أنه لا مشكلة ولا ضرورة ·

أما أن نفرض الامر فرضا ، ونضخم الاشكال فيه تضخيما ، ونخرجه مخرج الضرورة قبل أن نتيقن هذه الضرورة ، ونعجز عن الخروج منها ، فذلك تهاون باحكام الله ، ومن شأنه أن يشجع على ارتكاب أمثاله باسم الضرورات ، فنجد فيما بعد من يربى الخنازير لتصدير لحومها وشحومها ، وقد يكثر ذلك فى محيط شعب اسلامى حتى يصبح ثروة وطنية يهتز اقتصادها اذا لم نبحه ، ونترخص فيه !

ومع ذلك اذا ظهر للمجمع ظهورا بينا أن حالة الجزائر الآن ، تتحقق فيها هذه الضرورة ولا سبيل الى دفعها الا بهذا الاسلوب ، فقد يرى أن يقرر اباحة ذلك اباحة موقوتة بزمن معين تعمل فيه الدولة الجزائرية على تحويل انتاجها أو التصرف فيه على وجه تبيحه الشريعة ·

٣ — **ومما تقدر فيه الضرورة بقدرها** ما أباحه الشارع من كشف الطبيب على عورة المريض لمداواته، فاذا وجدت طبيبة امرأة لها حذق الطبيب الرجل واختصاصه ، فانها أولى بالكشف على المرأة المريضة ، فالنظر الى العورات محرم على الرجال والنساء جميعا، ولكن يباح للضرورة ، ثم تقدر الضرورة بقدرها ، فكما لا يباح ان تكشف طبيبة فى ذلك على مريض مع وجود طبيب مثلها فى صناعتها ، لا يجوز ان يكشف طبيب على مريضة مع امكان أن تقوم بذلك طبيبة ·

٤ — **ومن فروع هذه القاعدة** — اى قاعدة استباحة المحرم عند تحقق الضرورة ، لا بمجرد توهمها — اننا لا نستطيع أن نقول : ان هناك ضرورة هي التصييف والعيش على شواطىء البحار و « البلاجات » تبيح للرجال أو للنساء الظهور بملابس البحر التى تظهر ما حرم الله أن يظهر من الاجسام ، وقد جادلنى بعض الناس ذات يوم فقال لى : ان الاجسام بحاجة الى التعرض للهواء وللشمس وللبرود فى البحر ، كأنه لا سبيل الى ذلك الا بارتكاب هذا اللون من العرى والتهتك ، وكأن سلفنا وأجدادنا من قبلنا عاشوا عيشا ناقصا حين فاتهم ذلك ·

انني أضع هذا كله أمام السادة القراء ، كما وضع السيد الدكتور خلف الله أمامهم قاعدة « **الضرورات تبيح المحظورات** » لكى تكون حلا من الحلول التى يعرضها حين تكون « آيات الاحكام والتآليف — كما قرر سيادته — قد تأثرت فعلا بفعل الزمن » والبحث موصول ان شاء الله تعالى ·

محمد محمد المدنى

أدب الملحمة والملحمة العربية

• للدكتور زكي المحاسني •

من موضوعات الادب الحديث في هذا العصر العشرين ، أدب الملحمة ، واني وان كنت قد اتجهت الى هذا الادب في التاليف والمحاضرة والبحث ، فذلك لاني احببت ان ادخل زاوية جديدة من زوايا الادب المعاصر التي لم يكن أدبنا القديم حفيا بهـا ، اما سبب انصراف أدبنا القديم عنها فذلك لان الملاحم كانت في الادب الاغريقي والروماني والهندي قبلهما ، قصائد طوالا قد تجيء في نحو خمسين الف بيت من الشعر ، وقد تزيد على ذلك ، وان الشاهنامه للفردوسي من هذا القبيل ، وقصائد الملحمة تضم التراث التاريخي في الحرب والسلم لامة من الامم ، وتسجل ما كان ينشب من الخلاف والعراك بينها وبين الامم المجاورة أو البعيدة ، وفيها يتفنن شعراؤها في وصف الابطال وتصوير المعارك على وجه مفصل مشخص كما صنع الشاعر الاغريقي الاعظم « هوميروس » الذي سبق عهد الميلاد ، فنسبت اليه قصيدة الاليـاذة ، التي جاءت في أربعة وعشرين نشيدا ، وقفها على وصف حصـار اليونان لمدينة طرواده على الحوض المتوسط في شبه جزيرة الاناضول التي كانت تسمى « آنا طوليك » ، وهذه القصيدة العجيبة يعدها مؤرخو الادب الملحمي المثال الاكمل لشعر الملحمة الانسانية التي كانت ، عنوان فخر الامم في منتوجها الفكري في الشعر والادب . ومن أمثال الملاحم القديمة ملحمة « الاوديسه » وهي في نحو الالياذة لكن موضوعها يختلف عن تلك ، فان موضوع الالياذة هو الحرب وحصـار مدينة طرواده ، ثم فتحها بالحيلة واحراقها ورجعة الفاتحين منها الى بلادهم ، وكان على راسهم البطل المحتال « عوليس » زوج « بينيلوب » وأبو تيليماك . وتدور حوادث الاوديسه في مغامرات عوليس حكيم الحرب الطروادية ومخترع الحصان الاعظم ، الذي دخل في جوفه الابطال وافتتحوا حصن طرواده . وحوادث مغامراته جرت في البحر والجزائر الشريدة مع الجن والاغوال . فمن هذه الحوادث في أدب المغـامرات اجتذاب مركب عوليس بسحر الغناء العبقري ، الذي كان يصعد من أفواه عرائس البحر التي وصفتهن الاساطير بانهن كن « سدلات الشعر » ، باهرات الجمال ، انصافهن العليـا حوانية والسفلى سمكات صدفيات ضاربات بأذيالهن الامواج ، وقد راحت هذه العرائس المسماة « سيرين » تغني أغانيها الداعية ، فانقـاد اليهـا عوليس وأمر ربابنة مركبه ونوتيته الذين اثقلتهم حرب طرواده ، أن يتبعوا هذه العرائس ، تشاقهم الحنين الى النسـاء ، واندفعوا بالمجاديف المجنونة ، وقد طالت لهم ، فلعب في افكارهم وآذانهم ذلك الغناء الساحر الخلاب ، فائتمروا بامر سيدهم عوليس ، ومضوا في البحار الفوارة وراء السيرين وضلوا السبيل ، حتى وقعوا على جزيرة الوحش الاكبر « البوليفيم » . وها هنا ابين في أدب الملحمة دور الاساطير والمغـامرات ، والملحمة وما يشترط في فنهـا ، وذكر الخوارق في شعر الملحمـة ... فيكمن لعوليس وصحبه على ضفة الجزيرة المسحورة ، ذلك الوحش . يده كجزع شجرة ، وقدمه في ضخامة كف المجداف الكبير . وله في جبهته عين واحدة بحجم قصعة الطعام . فامسك بعوليس بكفه ، واراد أن يعتصره ، لـكنه خاف أن يفر واصحابه بالمركب ، فتحبب اليهم خدعة وساقهم الى كهفه الكبير ، وليس له الا باب بحجم جسمه ، فسده به ، والقـاهم في جوفه ، وجعل

يأكل كل يوم واحدا منهم ، بأن يقذف به عاليا ، نحو سقف الكهف ، ثم يفغر فاه ويلتقمه في فمه ، والخارقة التي ابتكرها ذهن هوميروس هي في دهاء عوليس الذي تاهت الاساطير بمساربه ومخارجه من المآزق والاهوال ، فتقدم الى الوحش الجبار فرحا يرقص وقال له :

ـ أيها المليك ، ان معنا من خمور اسبارطة دنانا ، لو ذقتها لنسيت كل شراب عرفته في عمرك !...

فقال الوحش : هاتوا ما معكم قبل أن آتي عليكم ، وكرع في قصعة كبيرة ، وبحسوة واحدة خمورهم جميعا ، فلم يلبث أن دار رأسه ، ونام نوما عميقا .

فأسرع عوليس الى نار أوقدها ، ووضع عليها رأس عمود من حديد ، ولما توهج بالنار ، فقأ به عين الجبار وخلص من هذا الاسر هو وصحبه ، والقوا بانفسهم في اليم فائزين . ذلك مثال مختصر من أمثلة الاهوال والاغوال في أدب الملحمة .

وقد اتفق رواة فنها على أن من اللازم فيها ، وجود الخوارق والدواهش . ولعل هذا الشرط هو الذي حفظ تراثها ، لان الانسان كبيرا كان أو صغيرا ، طفلا كان أو شيخا ، مفطور على سماع القصة ، وحب الخوارق ، وسيرة الاهوال ، ينجذب اليها بكل جارحة فيه ، حتى كأن في كل جسمه آذانا واعية . لكن الملاحم في أدبها العريق ، وان جملت أنفسها بالاهوال والاساطير والخرافات لكنها قصدت الى الجد في موضوعها ، لان موضوعها هو الحصن الحصين لمجد أمتها في البطولة والفروسية وفي الكرم والندى . فما شيء تفتخر به الامم في قديمها وحديثها ، كان أغلى عندها من الشجاعة والقوة والبأس ، وبهذه المزايا الهركولية ، وأقصد بهذا التعبير البطولية ، اكتسبت الامم منازلها ، بعضها في بعض ، وحفظت ذمارها وأعلت شأنها ، وبنت ديارها ، وأعطت مواطنيها وأنسالها نعمة الحياة الآمنة الرغيدة بعد الحروب والجلاد ، فلزم ذلك في أدب الملحمة أن يقول شعراؤها في أناشيدها مزاياها التي تفاخر بها سجيس الليالي من الاوصاف الراسخة في مكارمها وفضلها وفضائلها التي لا تجارى ، حتى غدت الملاحم شعرا يترنم به كل فرد من الامة الراقية وحتى غدت أناشيدها أهازيج للامهات يغنينها لاطفالهن وهم يدخلون في النوم لترقد عيونهم واسماعهم عليها ، حتى اذا شبوا ، وجدوا مع أسباب دمائهم هذه المعاني في عروقهم ينبض بها كل قلب ، وتدور في معانيها كل فكر ، وينشحذ بحماستها كل شعور .

قلت هذا وأنا أطارح نفسي هذا السؤال : أين ملحمتنا العربية ؟ .

ـ انها ما تزال في ضمير الزمان ، وفي ما يتراءى من أدبنا تواقا عليها ، مشتاقا الى يوم حدوثها . فاين شاعرها الذي سيعطى أمتنا العربية ملحمتها الكبرى ، في خمسين ألف بيت لتسد هذه الزاوية الفارغة في أدبنا القديم والحديث .

ان محاولات قد حدثت في نظم الملحمة ودراسة أدبها ، كان لي الشرف في صنعها وخوض غمارها ، وقد كان مما وقفت عليه آخر الامر ومنذ شهرين نهاية المقالات المتتابعة في مجلة الازهر الشريف ، كتبها أحد أساتيذ الادب العربي من الجيل الصاعد وهو الدكتور سعد الدين الجيزاوي ذكر أعمالي في هذا السبيل ، وقارنها بأعمال الآخرين والمتقدمين ، وخاض جدلا ملحميا مع أستاذ الدراسات الجامعية الدكتور شوقي ضيف فيما صنع فقيد الشعر الاستاذ أحمد محرم في نظمه سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . ذلك ما عن على الخاطر من أدب الملحمة .

الدكتور زكي المحاسني

الحركة الأدبية فى شمال افريقيا

أثر توفيق الحكيم فى التمثيلية التونسية

بقلم فوزى عبد القادر الميلادى

فى شمال افريقيا نهضة أدبية وليدة فى مجالات القصة والتمثيلية والمسرحية وقد ظفرت المكتبة العربية فى السنوات الثلاث الاخيرة بعدد وفير من المؤلفات الادبية فى شتى الفروع لأدباء من تونس والجزائر والمغرب ومن خلال بحثى عن سمات ومميزات أدب الشمال الافريقى كان لابد أن أبحث عن المنابع التى استقى منها كتاب هذه المنطقة والأدباء الكبار الذين تأثروا بهم ، وهذا أمر طبيعى فى بداية كل نهضة أدبية فى المرحلة التى تسبق تكوين الشخصية الادبية المستقلة .

ولم يكن عجبا ان الحظ وانا أدرس الأدب التونسى المعاصر ان كتاب الحوار قد تأثروا الى حد كبير بأحد الرواد الكبار فى المشرق العربى الاستاذ «توفيق الحكيم» ، وذلك يبدو واضحا فى تمثيلية «الابن» التى نشرها مؤلفها الاستاذ مصطفى الفارسى مؤخرا فى تونس ضمن مجموعة تمثيليات أخرى .

تمثيلية الابن تحكى قصة صديقين محمود وابراهيم اعتزما توثيق أواصر الصداقة بينهما بالمصاهرة فتمت خطبة حورية بنت محمود الى عادل ابن ابراهيم ويبين من حديث الرجلين أن عادل هذا طبيب عيون حديث التخرج وأن زميله مصطفى طبيب أمراض القلب وهو الذى يشرف على علاج والده (محمود) ويتمنى الاب لو كان ابنه عادل هو طبيب القلب .. ويعود عادل الى المنزل فيخبره والد خطيبته قبل انصرافه بأنه قد باع جانبا من أملاكه (مائتى زيتونة ومنزلا صغيرا) بمناسبة زواج ابنته ويقول لعادل مازحا (المال فى صندوق حصين واظنك ستجد نصيبا منه فى صندوق العروس)

ويضحك الاثنان ويغادر ابراهيم المنزل تاركا عادل مع والده .

ويبعث عادل فى طلب زميله مصطفى فيأتيه فى منزله على عجل ويفشى له عادل أسرار حياته وتتساقط الاقنعة التى كانت تحجب شخصيته الحقيقية فهذا الطبيب الشاب الذى كان يظنه والده مثال الاستقامة والكفاءة والنجاح قد انحدر الى مهاوى الرذيلة .. فاضاع كل ما يملك على القمار والنساء واستدان أكثر من مرة وهجر عيادته واصبح لا يذهب اليها الا كلما احتاج لبيع قطعة من الاثاث أو الادوات الطبية حتى اصبحت العيادة خاوية على عروشها وقد خسر بالامس فقط تسعمائة الف فرنك لم يسددها للآن .. وهو لا يستطيع ان ينبيء والده بحقيقة الامر خشية أن تصيبه صدمة قاضية وهو لا يتصور أن يصارح والد خطيبته أو خطيبته بالموقف فذلك لن يساعد على اتمام الزواج بل قد يقف عقبة فى سبيل ذلك .. ويتشاور الصديقان فلا يهتديان لشعاع الأمل وما يلبث عادل أن يتجه بتفكيره نحو الجريمة . ماذا عليه لو استولى على مال صهره فى غفلة من أعين الرقباء على أن يعيده اليه بعد حين عندما تتحسن أحواله المادية .. انه يستطيع دخول المنزل فى أى وقت دون اثارة الريب او الشكوك .. ويستطيع فتح الصندوق فى سهولة ويسر ويحصل بذلك على المال الذى ينقذه من الدمار .. ويشفق مصطفى من هذه الافكار الجريئة . ولا يساير زميله فى حماسة لهذا المسلك الوعر .. بل يحاول اثناءه عن عزمه . ولكن الآخر يصم أذنيه عن النصيحة وقد سيطرت فكرة السرقة على تفكيره وملكت عليه مشاعره .. ويترك مصطفى صديقه

وهو آسف حزين لهذه الهـاوية التي يوشك أن يتردى فيها ··

ويعود مصطفى لزيارة صديقه في ليلة تالية بعد منتصف الليل فلا يجده، فيجلس في انتظاره حتى يعود اليه بعد قليل والدم ينزف منه نتيجة اطلاق الرصاص عليه ·· وفي اعيـاء بالغ يشرح عادل الموقف ·· لقـد تسلل الى منزل صهره تحت جنح الظلام وتلمس طريقه الى الصندوق يعاونه مساعد له وفطن لهمـا صاحب المنزل فاخذا في الهرب من النـافذة ولكنه اطلق عليهما الرصـاص من الخلف فاصاب عادل ويبدو أنه لم يتبين شخصيته الا بعد أن اصيب فعـلا فتمتم (سامحك الله وسامحني على ما فعلت) ويحـاول مصطفى اسعاف زميله ولكنه يأبى عليه ذلك افهمه أنه ميت لا محالة بعـد أن نزف قدرا كبيرا من دمه كمـا أن موته سيحل كل المشاكل ويطلب منه أن يدعه يموت في هدوء على شريطـة الا يخبر والده بشيء من حقيقـة الأمر ·· وينتقل عادل الى حجرته بمعاونة مصطفى وهناك يلفظ آخر انفاسه ··

ويصحو ابراهيم والد عادل من نومه على صـوت المنـاقشة التي دارت بين الزميلين ويتوجه الى حيث يجلس مصطفى فيجده وحيدا ·· ويسأل عن عادل فيخبره أنه مريض وقد أصيب بصدمة قلبية ويعجب الوالد لهذه الاخبـار المفاجئة فيطلب منه مصطفى مزيدا من الصبر والشجاعة والتجلد ·· ويتساءل هل مات الابن فيجيبه أن نعم ·· ويحاول الدخول اليه في حجرته ليلقي عليه النظرة الاخيرة فيصده مصطفى عن ذلك في رفق لكن في اصرار ويستدعي الوالد الحزين تليفونيا طبيبا كبـيرا اسمه الدكتور منظور يعمـل مديرا لاحدى المستشفيات ليوقع الكشف الطبي على ابنـه وقد أحاطت به الهواجس والشكوك ··

ويستدعي مصطفى بدوره محمـودا صهر زميله الراحل في الوقت الذي تدق فيه الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ويطمئن مصطفى محدثه بأنه ليس هناك من يعرف السر غيرهما ·

وفي هذه اللحظة يدخل الدكتور منظور فيسأل عن صـاحب المنزل الذي استدعاه لتوقيع الكشف الطبي ·· وشيئا فشيئا يشرح له مصطفى اسرار الموقف فيعجب ثم يغضب ويرغي ويزبد ·· مؤكدا انه لا يمكن أن يتستر على جريمة فيذكره مصطفى بمـا سيصيب الوالد من صدمة من هول الفضيحة اذا عرف حقيقة الامر وان السبيل الوحيد للتخفيف من احزانه هو تركه يعتقد أن وحيـده قد مات من صدمة قلبية مفاجئة ·· ويتردد الطبيب العجوز ثم يسلم قياده الى الطبيب الشاب وفي حضور محمود والد حورية يعلن الدكتور منظور أن عادل قد مات نتيجة صدمة قلبية ويحرر شـهادة رسمية بذلك ويقول منظور لابراهيم (لا تعبث بقلبك ياسيدي ان كنت تريد الحيـاة ردحا من الزمن ·· خير لك أن تحرص على سلامتك وتسهر على راحتك ولا تشغل نفسك أكثر مما فعلت) ثم يختم كلامه · والتمثيلية كلها بهذه العبارة (الصبر يا سيدي ·· يجب أن تصبر والا تضن على الأمـوات براحـة الضـمير (همسا) اما نحن يادكتور مصطفى فقد تصدقنا عليه بالصمت والكتمان ·· مساء الخير)

هذه التمثيلية يبدو فيهـا أثر توفيـق الحكيم واضحا في موقفين :

الموقف الاول : الأب الذي يرقد على فراش المرض يعاني من مرض القلب يتوقع لنفسه الموت بين لحظة وأخرى وله ابن صحيح معافى لايعرف المرض سبيلا الى جسمه ·· وتكون المفاجاة ان يموت الشاب القوي المتفتح للحيـاة ·· ويعيش الاب من بعده حزينا مكلوما ··

هذا هو ذات الموقف الذي اتخذه توفيق الحكيم محورا لمسرحيته (دقت الساعة)

والموقف الثاني هو اطلاق صاحب المنزل النار على

شخص يهرب من النـافذة يتسلل من منزله تحت جنح الظلام وهو يظنه لصا حقيقيا ٠

وهـذا هو ايضا ذات الموقف الذي جعله الحكيم دعامة مسرحيته (اللص) التى أعيد تقديمها على مسارح القاهرة بعنوان « **المجرم المحترم** » ٠

واعود الى التمثيلية فأقول انهـا تفيض بالحركة والحيـاة وقد تضمنت صراعا حادا عنيفا ليس بين شخص وآخر وانما بين نوازع النفس البشرية التى كانت تتـلاطم فى اعـاق عادل وصديقه مصطفى والطبيب العجوز وقد استطاع المؤلف أن يغوص الى اعـماق هذه النفوس جميعها واسـتطاع ان يحرك شخصياته فى مواطن الازمات وأن يطورها تطويرا منطقيـا حتى يبلغ التأزم ذروته بحضور الطبيب العجوز ثم يأخذ فى الانفراج نسبيا باستسلام منظور لنطق مصطفى اشفاقا على حياة الوالد المريض وعلى سمعة الاسرة أبد الدهر ٠٠

والتمثيلية بعـد ذلك تعـالج مشكلة اجتماعية معروفة٠٠ الشاب الذى ينزلق الى مواطن الشهوات فيبيع كل ما يملك ويستدين حتى يضطر الى سلوك سبيل الجريمة للحصول على بغيته ثم يلقى جزاءه ٠

والجديد فى هذه التمثيلية هو التجـاء الشاب للسرقة من منزل خطيبته ووفاته بطلقة نارية يطلقها والدها وهو يظن نفسه يطـارد لصا وليس أقرب الناس اليه بعد ابنته ٠٠ ولعـل هذا الجديد قد اوحت به الى المؤلف مسرحية اللص التى سـبقت الاشارة اليها ٠ ولايفوتنى أن أشير الى أن توفيق الحكيم عندما نشر مسرحية اللص لأول مرة نشرها فى احدى الصحف الاسبوعية كمسرحية من فصل واحد يموت البطل فى نهايتها بالطلقة التى اصابته وهو يتسلل من المنزل٠٠وعندما استجاب لرغبة الكثيرين فى تطويرها الى مسرحية متعددة الفصول اضطر للابقاء على حيـاة البطل بأن جعل اصـابته سطحية وغير قاتلة ٠

واذا ما نظرنا بعد ذلك الى الجانب الاذاعى من التمثيلية وهو جانب هام من جوانب بنائها لانهـا كتبت أصلا لتذاع قبل أن تتاح لها فرصة النشر ٠٠ نجد المؤلف قد كفل لتمثيليته عناصر النجاح الاذاعى من تشويق وتعدد مسامع ٠٠ فمنذ الدقائق الاولى التى يأخذ فيهـا عادل فى مصارحة زميله مصطفى بحقيقة المأساة التى يعيشها يجـد المستمع نفسه مشدودا الى أحداثها المتتابعة لا يستطيع منها فكاكا وينتقـل المستمع مع المؤلف من مسمع الى مسمع لاهث الانفاس تجيش بصدره عواطف وانفعـالات شتى فهو يتألم لمأساة الطبيب الشاب الذى يوشك أن يتردى فى الهاوية ويشفق عليه من عاقبة فعلته وهو يحزن لوفاته فى ربيع العمر ولكن أهم من ذلك انه يتابع فى لهفة موقف الأب الحزين٠٠هل سيعرف حقيقة مصير ابنـه المؤلم ٠٠ أم سيفلح مصطفى فى حجب الحقيقة عن عينيه ٠٠ ويظل كذلك يعـايش شخصيات التمثيلية ويتـابع تصرفاتها وحركاتها خطوة خطوة حتى يصل الى نهـاية التمثيلية وهو مأخوذ اللب مبهور الأنفاس٠٠ وهذه هى آية النجاح فى كل عمل اذاعى ٠٠

موقف واحد بدا فى التمثيلية غـير منطقى وغير متمش مع طبيعة الاحداث وطبيعـة النفس البشرية وكان من الممكن تداركه واصلاحه بسهولة ٠٠ ذلك هو موقف مصطفى عند دخول عادل عليه وهو ينزف دمه ٠٠ كان الواجب أن يبـادر الى اسـعافه رغم معارضته ورغم ما قد يبـدو من فقـدان الامل فى انقاذه ٠٠ تقاليد المهنة ومقتضيات الزمالة والصداقة كانت جميعهـا تملى عليه أن يبذل كل جهد لانقاذ حيـاته وهو لو فعل لأبرأ ذمته ازاء ضميره وازاء القسم الذى أداه يوم اشتغاله بمهنته ولأبرأ المؤلف أيضا ذمته أمام القراء والسامعين على السواء ٠٠

ومثل هذا التدخل لانقـاذ حياة البطل لم يكن ليخل بسير أحداث التمثيلية كما أرادها المؤلف ٠٠ فمن الممكن أن يبذل مصطفى قصـارى جهده لانقاذ زميله ومع ذلك تفشل جهوده أدراج الرياح وتسير التمثيلية فى طريقها المرسوم ٠٠

فوزى عبد القادر الميلادى

الفن والصدق التاريخي

بقلم محمود الشرقاوي

مناقشة وخبر قرأناهما فى الفترة الأخيرة يثيران قضية هامة من قضايا الادب والفكر : قضية الصدق التاريخى فى معالجة الفن ، قضية تتلخص فى الجواب عن هذا السؤال: هل يجب على كاتب القصة التاريخية والتمثيلية المسرحية أو الاذاعيـــة أو التلفزيونية أن يلتزم فى عمله الفنى هذا وقائع التاريخ كما سجلها المؤرخون ؟ هل يجب عليه اذا تناول فى قصته حياة رجل ــ أو امرأة ــ من رجال التاريخ الا يخرج عن وقائع حياته وترجمته وسيرته كما رواها مؤرخوه ؟

نذكر المناقشة والخبر أولا ثم نسير الى ما نريد :

المناقشة كانت عن **أدهم الشرقاوى** ، الطرف الاول من أطراف المناقشة يمثل أدهم فى صورة بطل مكافح شهيد ، حارب الاقطاع وتحداه ووقف فى وجـــه طغاته فى عناد واصرار حتى لم يجد طغاة الاقطاع بدا من التخلص منه ، فحرضوا عليه واستأجروا من قتله ، ويمثل هذا الطرف الاستاذ **زكريا الحجاوى** .

والطرف الثانى من المنـــاقشة يقول ويؤكد انه يعرف أدهم الشرقاوى واسرته وبلده وقصة حيـــاته ويؤكد ــ بناء عن هذه المعرفة الوثيقة ــ ان أدهم كان مجرما عاديا ليس فى ضميره ولافى عاطفته أدنى شعور بالظلم الاجتماعى ولا أقل رغبة فى محاربة الاقطـــاع أو الوقوف فى وجهه ، مجرد مجرم عادى مثل كثيرين ممن تمتلىء بهم السجون ، وان الصحف عندمانشرت خبر اعدامه وصفته بالسفاح ، ويمثل هذا الطرف من المناقشة الاستاذ **محمد فهمى عبد اللطيف** .

ولاأريد أن أستطرد الى تفريعات المناقشة والردود التى تبودلت بين الفريقين ، فهذا التلخيص للقضية يكفى لما نريد أن نقوله ، غير انى أرى فى الحديث عن الصحف ووصفها أدهما بانه سفاح ، انه من الجائز والممكن جدا أن تصف الصحف يوم ذاك بطلا شهيدا بأنه سفاح نفاقا منها وملقا للقصر او غيره ويمكن للحكومة تلفيق تهمة لبطل شـــهيد والحكام التلفيق حتى يصدر عليه حكم قضائى يدينه . هذه ملاحظة أذكرها مما عرضته وشهدته عندما كنت أعمل فى الصحافة لذلك العهد واعتقد ان الصديق الاستاذ فهمى عبد اللطيف يعرف بخبرته الصحفية وتجاربه امكان ذلك ، ولكنى لاأريد بهذه الملاحظة الدفاع عن أدهم الشرقاوى ولا الانحياز لأحد طرفى المناقشة .

أما الخبر فقـــد نشرته (الاهرام) وهو يقول ان الهيئات المسئولة تفكر فى اخراج فيلم تاريخى كبير عن الازهر فى ألف عام يتناول قصة الازهر منـــذ انشائه حتى اليوم ورسالته العلمية والوطنية .. وشخصيات ابطاله الذين وقفوا فى وجه الطغـــاة وموقف عمر مكرم فى محاصرة الوالى المستبد خورشيد باشا ، وقرار عزل توفيق الذى أصدره الشيخ حسن العدوى .. الخ .

وهنا أريد أن أستطرد بعض الشىء فى الحديث عن بعض هؤلاء الرجال الذين سيسجل حياتهـــم وجهادهم الفيلم المقترح ، وبخاصة السيد عمر مكرم والشيخ حسن العدوى ، فـكلا الرجلين قد درست

حياته ومواقفه من تاريخ مصر ، وكلاهما قد كونت عنه رأيا أعتقد انه أقرب الآراء الى الصدق التاريخى فى هذه الفترة الهامة المضطربة من تاريخنا الحديث ، واعتقد انه من الخير أن أضع ثمرة دراستى ورأيى هذا أمام الذين يعملون فى كتابة هذا الفيلم الكبير الذى يقول خبر الاهرام ان اعداده سيستغرق ثلاث سنوات •

أما السيد عمر مكرم فخلاصة الرأى فيه عندى انه كان رجلا بارز المكانة ممتاز القدر فى عصره ، حتى يصدق بحق أن نصفه بأنه زعيم مصر يوم ذاك ولكنه لم يكن رجل حرب ولا جلاد ولا صراع سياسى مثابر كان رجلا فيه مسالمة ولين وميل الى الهدوء ومعالجة الأمور بالسياسة والكياسةوالمسايرة ، تلك الصفات التى افسدت عليه وعلى وطننا كثيرا من المواقف الحاسمة ، وبخاصة بينه وبين محمد على ، واعتقد أن السيد عمر مكرم كان يستطيع أن يزحزح محمد على من حكم مصر ، كما أخرج خورشيد باشا من القاهرة لولا صفاته اللينة التى ذكرتها والتى أفاد منها محمد على فائدة كبرى بدهائه وخبثه ، ومواقف عمر مكرم وحدها كافية للافصاح عن صفاته هذه ، مع تقديرنا العظيم الذى تشوبه أقل ريبة فى اخلاصه وسلامة قصده •

دعا السيد عمر الناس فى القاهرة منذ اليوم الاول لمقاومة نابليون ، وصعد الى القلعة قبل موقعة الاهرام فانزل منها البيرق النبوى وطاف به من القلعة الى بولاق وألوف النـــاس من خلفه يستحثهم للجهاد ويستنفرهم للحرب والدفاع عن الدين والوطن • وكان لهذا العمل منه - وهو نقيب الاشراف - أثر أى أثر ، فلما هـزم المماليك والمصريون ودخل نابليون القاهرة هاجر عمر مكرم الى الشام وترك فى مصر أملاكه الكثيرة وأمواله الطائلة ، وبقى فى منفاه الاختيارى ثمانية أشهر ، فى مدينة يافا حتى فتحها نابليون فقربه اليه وأكرم لقياه وأعاده الى مصر عزيزا كريما فبقى فى القاهرة بعيدا عن الفرنسيين وعن الحياة العامة حتى قامت ثورة القاهرة الثانية فكان من زعمائها ، ولما انتهت الثورة هاجر مرة أخرى وخرج من القاهرة مع الجيش العثمانى ثم عاد اليها مع هذا الجيش مرة ثانية بعد خروج الفرنسيين •

وكان عمر مكرم زعيما للشعب فى ثورته على المماليك بعد خروج الحملة الفرنسية بثلاث سنوات كما كان له أكبر نصيب فى اختيار صديقه محمد على وتمكينه من حكم مصر ، وهو الذى ألبســه - مع الشيخ عبد الله الشرقاوى - خلعة الولاية فى « بيت القاضى» سنة ١٨٠٥ ولكنه ، بعد ذلك ، وقف مواقف كثيرة فى معارضة محمد على لم تصل الى حد الثورة ولا الدعوة لها، وسعى محمد على ليترضاه بالمال فأبى حتى يرجع محمد على عما أوقع بالشعب من الظلم ، ورفض أن يذهب لمقابلته ، ولكن محمد على بحيلتـه ودهائه ، استطاع أن يقلم أظافر عمر مكرم ، لانه لم يشحذها ولم ينشبها فيه وهى لاتزال صلبة ، فجرده من نقابة الاشراف ، ونفاه الى دمياط فى اغسطس عام ١٨٠٩ فبقى فيها ثلاث سنوات ، ثم أمر بنقله الى طنطا وبقى فيها اربع سنوات ، كان فيها منعزلا عن الناس كثير القلق والشكوى مما يفعل محمد على بأهل مصر ، ويزيد ألمه انه كان سببا فى تمكينه من الولاية عليها ، فلما كانت سنة ١٨١٨ ارسل عمر مكرم الى محمد على مع حفيده السيد صالح يهنىء فيها محمدا عليا بالنصر الذى أحرزه فى حروب الحجاز فلقى محمد على الحفيد والرسالة أكرم لقاء ، ثم أذن للسيد عمر فى أداء فريضة الحج ، وبعد ذلك أطلق سراحه فعاد الى القاهرة شيخا فانيا فى يناير ١٨١٩ وتلقاه الناس بالفرح الكامل والسرور الشامل ، وقد فصلت رأيى وذكرت مبرراته فى الجزء الثالث من كتابى : (دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر) وليس فى رأيى هذا أى غض من قدره ، فأنا أكتب التاريخ فى صدق وتجرد ، والذى يريد أن يضع قصة أو فيلما تاريخيا عن حياة عمر مكرم وجهاده يجد فى مواقفه من المماليك ومن خورشيد باشا ذخيرة كافية مشرفة •

وما دام الفيلم الذى يراد اخراجـه عن الأزهر وأمجاد رجاله فى مواقفهم الوطنية **فهناك شيخ مغمور مجهول المنزلة فى التاريخ كانت له بطولة ممتازة ، فقد بقى يحرض على الفرنسيين من غير حيطة ولاحذر**

ويقف على منبر الأزهر داعيا لحرب نابليون حتى ضاق به ذرعا ، واخذه الفرنسيون ـ مع خمسة آخرين ـ فقتلوهم بالرصاص وقطعوا رؤسهم ثم القوهم فى النيل ، ويزيد من بطولة هذا الشيخ الازهرى انه كان فقيرا أعمى ٠ وقد سجلت مواقفه لاول مرة فى كتابى : (بطولات عربية)

وبستطيع المؤلف السينمائى أن ينسج من خيوط حياته ومواقفه قصة ذات قيمة، ولو كنت ممن يحسن ذلك لفعلت ٠

٢ ـ واما الشيخ حسن العدوى فالذى أقوله فيه ويؤكده تاريخه وتاريخ الثورة العرابية ، هو تعديل يسير فى واقعة اصداره فتوى بعزل الخديو توفيق ، وهو تعديل ـ كما ترى بعد قليل ـ لايجحده فضله ولا ينقص من شجاعته بأقل مقدار ، بل يزيد عليهما شيئا آخر هو الصدق ٠

فالشيخ حسن العدوى ـ كما اعترف هو نفسه ـ وشهد بذلك عرابى ، لم يصدر فتوى بعزل توفيق والقصة كما رواها عرابى فى مذكراته تقول :

ـ ان المحكمة التى ألفها الانجليز وتوفيق بعد فشل الثورة العرابية لمحاكمة رجالها ، هذه المحكمة سألت الشيخ حسن العدوى عن فتوى قيل انه أصدرها بعزل توفيق شرعا ، فقال :

انى لم أصدر هذه الفتوى لأن أحدا لم يطلبها منى ومع ذلك لو قدمت لى هذه المحكمة فتوى بعزل توفيق لما ترددت فى توقيعها ٠ وليس فى وسع هذه المحكمة ـ واعضاؤها مسلمون ـ أن تنكر ان الخديوى توفيق مستحق للعزل لانه خرج على الدين وعلى الوطن ٠

(انظر مذكرات عرابى التى سماها : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية) ٠

***

يعد هذا الاستطراد الذى اعتذر عن طوله ولكنى رأيت ضرورته أعود لأجيب عن السؤال : هل يجب على كاتب القصة التاريخية والتمثيلية المسرحية أو الاذاعية أو التليفزيونية أن يلتزم فى عمله الفنى وقائع التاريخ ٠

الذى أعتقده أن القصة التاريخية سواء جاءت على هيئة قصة للقراءة أو للاخراج المسرحى أو السينمائى لابد لها من عدة عناصر ، منها عنصر التشويق وهذا الوضع للعمل الفنى لابد له من توسعة تبيح للفنان مالاتبيح للمؤرخ ، فالمؤرخ الامين لابد أن يتحرى حقائق التاريخ ويقارن ويوازن ويغربل ويستبعد ويرجح ويستنتج ثم ينتهى الى رأى يعتقد انه هو الحق او القريب منه ، أما كاتب القصة التاريخية أو السيناريو الذى يعتمد على التاريخ فكل ما يطلب منه هو الحرص على (جوهر) التاريخ والبعد عن الافتعال والتزييف والمغالاة وتجنب الانسياق وراء العواطف السطحية الرخيصة السهلة ٠

وقد ضرب الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف فى مناقشته قصة أدهم الشرقاوى مثلا يمكننا أن نفيد منه هنا : قال انه لايمكننا أن نقبل عملا فنيا يجعل من مجرم كبيرا مثل (الخط) بطلا وطنيا ، مهما كنا فى حاجة لحفز الهمم واثارة الشعور الوطنى، ولانستطيع أن نقول فى قصة سينمائية او تمثيلية ان « سويلم مسلم» مهرب المخدرات الكبير لم يكن يهربها وحدها فى محافظات القناة والشرقية والقاهرة ، بل كان يهرب السلاح لمحاربة الانجليز ، وهذا المثل صحيح ولا يمكن أن يقبل من الفنان أن (يؤلف) فى التاريخ نفسه ، بل كل ما يقبل منه هو أن يؤلف (حول) التاريخ وان يستخدم الصحيح منه ويخلق شخوصه وابطاله على ضوئه ، وعلى اصرار من المحافظة على (جوهر) التاريخ ٠

وتاريخ وطننا القومى ـ اذا درس بعناية وفهم وصبر ـ فيه الشىء الكثير الصادق الذى يغنينا عن الافتعال والتصنيع والتزييف ٠

محمود الشرقاوى

التدرج في التشريع الجنائي الإسلامي

أحمد فتحي بهنسي

رأينا أن التدرج فى التشريع هو السياسة التى اخذ بها المشرع الاسلامى عند تجريحه لبعض الوقائع التى كانت فاشية فى المجتمع ولو انها كريهة فى الطبيعة والعقل .

فراينا ان الخمر وقد كانت فى الجاهلية شائعة ومختلطة بروح القوم ولحمهم ودمهم ، سلك الشارع فيها مسلك التدرج فذكر أولا أن فيها منافع للناس، كما أن فيها مضار الا أن هذه المضار تفوق تلك المنافع .

كما راينا كيف جرم الزنا وفرضت له أول الامر عقوبة اختلف فيها الفقهاء : هل هى حد أو توعد بالحد ، ثم كيف انتهى التجريم الى القتل رجما بالنسبة للزانى المحصن والجلد مع النفى او بدونه للزانى غير المحصن .

ويجب أن نعلم ان التاريخ ذكر ان العرب عرفوا فى جاهليتهم قواعد قانونية كثيرة قام عليها مجتمعهم ، وكان ذلك فى نواح شتى من النواحى التى عالجها الاسلام فيما بعد بما جاء من فقه وتشريعات .

وقد اقر الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من هذه القواعد والمبادىء التى كانت قد تبلورت فصارت عرفا ينزلون على حكمه .

فما كان الاسلام ليغير كل ما كانت عليه الأمة العربية ولو كان صالحا لبناء مجتمع سليم .

فقد اقر صلى الله عليه وسلم « القسامة » على ما كانت عليه قبل الاسلام وقضى بها بين ناس من الانصار فى قتل ادعوه على اليهود « ذكره مسلم » كما ذكر البخارى فى صحيحه صفتها فى الجاهلية فى حديث طويل نتبين منه ان الرسول قضى بها حين قتل رجل من الأنصار فى أرض اليهود ولم يعرفوا من قتله منهم .

كما كانت العرب تقول فى جاهليتها « القتل انفى للقتل » أى ان عقوبة القتل العمد هى القصاص من القاتل .

وعلى ما قال الدهلوى :

كان للعرب فى الجاهلية سنن يتلاومون على تركها فى ماكلهم ومشربهم ولباسهم وولائمهم واعيادهم ودفن موتاهم ، ونكاحهم وطلاقهم وبيوعهم ومعاملاتهم . وكانت لهم مزاجر فى مظالمهم ، كالقصاص والديات والقسامة ، وعقوبات على الزنى والسرقة ونحوهما . لكن دخلهم الفسوق والتظالم بالسبى والنهب وشيوع الزنى والنكاحات الفاسدة والربا .

فبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهذا حالهم، فنظر فى جميع ما عند القوم فما كان بقية الملة الصالحة أبقاه ، وضبط لهم العبادات والمعاصى وشرع فى هذا حدودا ومزاجر وكفارات ، ويسر لهم الدين ، وما كان من تحريفاتهم نفاه وبلغ فى نفيه الى غير ذلك .

***

ونستطيع أن نقرر أن ذلك التدرج فى التشريع انما كان لدفع المشقة عن الناس اثناء نزول الرسالة اذ أن مباغتة الناس بالممنوعات والامر بمطلوبات وهم على سليقتهم البدوية يكون فيه مشقة بالغة عليهم كما يكون فيه تعويق فى نشر الشريعة .

قال صلى الله عليه وسلم : « ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » . اخرجه مسلم عن ابن مسعود .

كما قال الله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » .

ويبنى على هذا التدرج التشريعى ، ان المذنب لا يعاقب الا بمقتضى النص الذى يكون ساريا وقت ارتكابه جريمته ، اى ان النص لا ينسحب على ما مضى من الوقائع ، انما يطلق على الوقائع التى تحدث بعد وقوعه . نستدل على ذلك بالأدلة الآتية .

أولا : قال الله تعالى :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » سورة الاسراء .

قال ابن العربى عند تفسيره لهذه الاية : اى لم نترك الخلق سدى بل أرسلنا الرسل .

وفى هذا دليل على ان الاحكام لا تثبت الا بالشرع ، خلافا للمعتزلة القائلين بأن العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر .

والجمهور على ان هذا فى حكم الدنيا اى ان الله لا يهلك امة بعذاب الا بعد الرسالة اليهم والانذار .

وقالت فرقة : هذا عام فى الدنيا والآخرة لقوله تعالى : « كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها : الم يأتكم نذير ؟ قالوا : بلى قد جاءنا نذير » .

قال ابن عطية : والذى يعطيه النظر ان بعثه آدم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات فى بنيه مع نصب الادلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل أحد من العالم الايمان واتباع شريعة الله ثم تجدد ذلك فى زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار .

وهذه الآية ايضا يعطى احتمال الفاظها نحو هذا فى الذين لم تصلهم رسالة ، وهم اهل الفترات الذين قدر وجودهم بعض اهل العلم « والفترة هى المدة التى بين رسول وآخر » واما ماروى من ان الله تعالى يبعث اليهم يوم القيامة ، والى المجانين والاطفال فحديث لم يصح ، ولا يقتضى ما تعطيه الشريعة من ان الآخرة ليست دار تكليف .

وقد اختلف الناس فيمن لم يبلغه الحكم الوارد من الله تعالى فى الشريعة فى خاص منها او فى جميعها .

فقالت طائفة : كل واحد مأمور بأوامر الشريعة ومنهى عن نواهيها ساعة ورود الأمر والنهى الاانه معفى عنه غيرمؤاخذ بمالم يبلغه من الأمر والنهى. واحتجوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : اذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر ، فسماه عليه السلام مخطئا ولا يكون المخطىء الا من خالف ما امر به ، وقالت طائفة : ان الله تعالى لم يأمر قط بشيء من الدين الا بعد بلوغ الامر الى المأمور ، وكذلك النهى، ولافرق ، واما قبل بلوغ الامر أو النهى اليه فانه غير مأمور ولا منهى .

فلا يكلف احد ما ليس بوسعه وليس فى وسع احد علم الغيب فى ان يعرف شريعة قبل ان تبلغ اليه ، فمن لم تبلغه النصوص لم يكلفها .

وقد استدل بهذا فى ان اهل الجزائر والبلاد النائية اذا سمعوا بالاسلام وآمنوا فلا تكليف عليهم فيما مضى من الزمان . ومن لم تبلغه الدعوة منهم فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل .

وقد احتج هؤلاء بالأدلة الآتية :

(١) قوله تعالى : « لأنذركم به ومن بلغ »

(٢) قوله تعالى : «لا يكلف الله نفسا الا وسعها»

(٣) قول الرسول : « والذى نفسى محمد بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى ارسلت له الا كان من اصحاب النار » .

والحقيقة والواقع ان الدين لازم للجميع اذا بلغهم وكانوا قد بلغوا حد التكليف لا قبل ذلك .

ثانيا : عندما نزلت آية التحريم النهائى لشرب الخمر ، قال قوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله ، ناس قاتلوا فى سبيل الله وماتوا على فراشهم وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان فانزل الله « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين » .

وهذه رواية أحمد عن أبى هريرة

ورواية النسائى والبيهقى عن ابن عباس :فقال ناس من المتكلفين هى رجس وهى فى بطن فلان وقد قتل يوم أحد . فانزل الله هذه الآية .

ثالثا : قال الله تعالى :

« عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام »

يعنى قبل نزول النصوص التى تحرم قتل الصيد وهم حرم . وروى أن هذا النص نزل فى أبى اليسر عمرو بن مالك الأنصارى وكان محرما عام الحديبية بعمرة فقتل حمار وحش فنزلت هذه الآية .

فمن يرتكب الجرم بعد نزول التحريم يعاقبه الله فينتقم منه وقيل ان معنى ينتقم منه « يعنى فى الآخرة » ان كان مستحلا ويكفر فى ظاهر الحكم .

وقال شريح وسعيد بن جبير : يحكم عليه فى اول مرة ، فاذاعاد لم يحكم عليه ، وقيل له: اذهب ينتقم الله منك ، اى ذلك اعظم من ان يكفر .

وقد روى عن ابن عباس : يملأ ظهره سوطا حتى يموت .

رابعا : قال تعالى

« قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين »

فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار هذا المعنى وهو أن ينتهوا عن الكفر . ومغفرة ماقد سلف لا تكون الا لمنته عن الكفر .

عن ابن شماس قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت يبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول : يا أبتاه : أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا أمابشرك بكذا . قال: فاقبل بوجهه فقال : ان أفضل ما نعد شهادة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله . انى قد كنت على اطباق ثلاث ، لقد رأيتنى وما احد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منى فلو مت على تلك الحال لكنت من اهل النار . فلما جعل الله الاسلام فى قلبى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه فقبضت يدى فقال : مالك ياعمرو ، فقلت : أردت ان اشترط . قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لى . قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله « الى آخر الحديث الذى رواه مسلم »

ومعنى ذلك انه لايعاقب الا بعد نزول النصوص وعلى الحوادث التى ارتكبت أثناء سريان هذه النصوص فقط .

***

ننتهى من ذلك كله الى أن الشريعة كانت رحيمة بالعباد من نواح مختلفة .

(١) انها أقرت بعض نظم وعادات وقوانين كانت سارية عند العرب قبل نزول الرسالة لان هذه النظم كانت متأصلة لديهم ولم تكن تخالف مايحسنه العقل .

(٢) ان احكاما كثيرة منها نزلت على مراحل مختلفة رئى فيها التدرج .

(٣) ان التكليف لايكون الا لمن بلغته الرسالة ، اما من لم تبلغه الرسالة او لم يسمع بها لانه فى مناطق نائية فله عذره .

(٤) ان التدرج فى التشريع انما كان فى عهد الرسول فقط .

اما الآن فان الشريعة وحدة متكاملة ، فان بلغت مثل هؤلاء الناس فتجب عليهم احكامها بتمامها .

« احمد فتحى بهنسى »

كتابة السيرة - فى أدب العقاد

بقلم احمد ابراهيم الشريف

المؤرخون نوعان :

نوع لاتتعدى قيمة كتابته سرد الأحداث والنص على الوقائع كما حدثت متسلسلة فى زمان ومكان معينين أو فى كل زمان ومكان ٠

وهؤلاء هم الكثرة الغالبة من كتاب التاريخ سواء فى القديم وفى الحديث ٠

والنابغ من هؤلاء من كان له نظر ثاقب وبصيرة مجلوة تجعله يتمكن من وضع يده على الأحداث ذات الأهمية التاريخية ، ولا يؤخذ بالشهرة والتردد وكثرة التكرار ، أو بالمنصب والنفوذ والسلطان ، فيكون فى كتابته مجال للمهم غير ذى البريق الى جانب المهم البراق ٠

واذا تعرض الواحد منهم للعوامل والاسباب فقلما يتعدى فى ذلك المجال نطاق المألوف والشائع المعروف والمروى المنصوص عليه ٠

وليس العقاد واحدا من هؤلاء ٠ فلا هو يعمد الى كتابة التاريخ على هذه الصفة ، ولا هو يعد قارئه بشىء منها ٠ وحتى كتابه فى سيرة سعد زغلول لم يكن سردا للوقائع كذلك السرد الذى نجده فى تاريخ ابن جرير الطبرى أو عبد الرحمن الجبرتى أو سائر هذه الطائفة من الكتاب المؤرخين ٠

ولم يكن ذلك المنهج عنده خاصا بالتاريخ وحده ٠ فقد كان ذلك هو ديدنه فى كل فن تعرض له من فنون الكتابة ومجالاتها ٠

عنى برسم صورة للعقيدة الاسلامية كما يجب أن ترسم فى ذهن الانسان العصرى ، فلم يعمد الى تفسير آى القرآن أو نصوص الحديث تفسيرا شاملا من أول آية الى آخر آية ومن أول حديث لآخر حديث ، بل اكتفى بأن يبين رأى الاسلام بكل مصادره فى المسائل الكبرى التى تعنى انسان القرن العشرين ، فكتب عن الله فى القرآن ، وعن الشيطان والانسان والمرأة والرق والميراث ونحو ذلك ٠

وعنى بالنقد والشعر فلم يتتبع أقوال النقاد فى كل عصر وكل قبيل ، ولا تعقب أنماط الشعراء فى كل مذهب وكل اتجاه ، وكتب عن بعض الشعراء فلم يعنه أن يقول كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم ، بل التفت الى ماهو مهم فى تصوير نفوسهم ، وما يتوقع من هذه النفوس فيما يحيط بهم من بيئات واشخاص ٠

ومثل هذا يقال عن سيره وتواريخه ، فما من واحدة منها كانت جمعا وسردا للأحداث والوقائع ، ولكنها كلها صور واضحة تجرى مجرى التفسير والتعليل ٠

فهو بهذا من النوع الثانى من المؤرخين ٠

وهذا النوع الثانى هو النوع الذى له قيمة فكرية وان لم تكن كتاباتهم مراجع وافية لأحداث الحقب التى يكتبون عنها ٠ وليس معنى هذا أنهم لايصح لهم أن يستغرقوا كل شاردة وواردة فى تواريخ حقبهم ، ولكن معناه أن هذا الاستغراق والاستقصاء لا يلزمهم ولا يجب عليهم وجوبا ليس عنه محيص ٠

هذه الفئة القيمة قلة بين المؤرخين شان كل نادر نفيس ٠

ومرجع القيمة عندهم ان افكارهم ذاتية لا يغنى عنها سواها ان اغنى عن كتاب سارد كتاب سواه ٠

ومرجعها ايضا ان افكارهم لاتفقد شيئا من قيمتها مع الزمن بل لعلها تزيد ، من حيث تتضاءل اهمية الكتب الساردة على مر الزمان ٠

ومرجعها ثالثا الى أن الانسان يهتم بها ولو كانت شواهدها وامثلتها مستمدة من تاريخ حقبة أو مكان لا يهم القارىء أن يعرف عنه الكثير أو القليل

ولعل أوضح مثل لهذه الحالة كتاب ابن خلدون ٠

فمقدمة ابن خلدون ظلت مهمة ولا زالت تتزايد اهميتها على مر الايام ، بينما كتابه الأصلى « العبر وديوان المبتدأ والخبر » لايعنى الا المتخصصين الذين يهتمون بهذا الزمان وهذا المكان وما جرى فيه .

هذه الطائفة هى التى يصح لنا أن نسميها « فلاسفة التاريخ » لأنهم يتخذون من الحوادث والاشخاص ما يتخذه الفيلسوف من ظواهر الكون والحياة : مقدمات لانريدها لذاتها بقدر ما توصلنا اليه من النتائج والقواعد والنظريات .

وفلاسفة التاريخ كالفلاسفة جميعا مذاهب ومدارس وآراء :

فمنهم فلاسفة تجريبيون بمعنى أنهم ينظرون الى أحداث التاريخ أولا ثم يستخلصون منها عبرها ونظرياتهم فيها .

ومنهم فلاسفة مثاليون ، ينشأ فى أذهانهم الرأى أولا ، يفسرون به التاريخ ، ثم يلتمسون فى أحداثه مصداق ما رأوا وما اعتقدوا .

وليس فى هذا الوصف لكل من الفريقين ترجيح لأحدهما على الآخر ، ولكنه عود على بدء المشكلة الازلية فى الفكر الانسانى التى تدور حول الفكرة والواقعة أيهما أسبق ، أو هو تقسيم لفلاسفة التاريخ على نسق تقسيم فلاسفة الوجود الى فلاسفة أفلاطونيين مثاليين وفلاسفة أرسطيين واقعيين .

أول الفريقين من ينهج منهج أفلاطون فى اقتراح جمهوريته حسب أفكاره فى المثل ولاسيما مثال العدالة ، وثانيهما من ينهج منهج ارسطو طاليس الذى يستقر على رأيه فى السياسة بعد دراسة ما تيسر له من دساتير زمانه وما سبق زمانه من الازمان .

نقول ليس فى الامر ترجيح لأن الماركسيين ينتقصون من قدر الفكر المثالى ويسمونه بالفكر الطوبى ويريدون بهذه التسمية أن يصفوه بالاحلام والاوهام ويتنصلون منه فيسمون انفسهم بالعلميين .

والحقيقة أنهم من المثاليين لا من التجريبيين لأنهم يفترضون النسق أولا ثم يبحثون عن مصداق له فى الواقع .

وهم مثاليون متطرفون ، لانهم اذا كذبهم الواقع عمدوا الى التبرير والتعليل واعتساف المخارج من الحقائق والوقائع لكى تنسجم مع نسقهم المفروض .

بل انهم أحلاميون اوهاميون لانهم يرون ان التاريخ ينبغى أن يطرد على نسقهم ، بل أن يطرد على هذا النسق رغم أنفه وأنف الوقائع والاحداث . وكلمة « ينبغى أن » شيطان لايسمح به عالم تجريبى يحترم علمه ، اذ قصاراه أن يهيىء للتجربة ظروفها وأن ينتظر بعد هذا نتيجة التجربة كما تكون لا كما ينبغى أن تكون .

هذه المدرسة الماركسية تتصدر فريقا من فلاسفة التاريخ يمكن أن يعرف بالفلاسفة الاجتماعيين ،وهم الذين ينكرون الفرد ويعترفون بالمجموع ، فليس الفرد قيمة فى ذاته ، وليست له قيمة فى تشكيل مصيره أوتعديل اقداره أو خلق قيمه او تحويرها ، بل هو ريشة فى مهب العوامل الاجتماعية ، التى لايعترف الماركسيون منها الا بالقيمة الاقتصادية ، بينما يعترف سائر الاجتماعيين بغيرها معها كالقيم السياسية والعرفية والدينية والحضارية الثقافية وما اليها .

وفى مقابل هذه المدرسة مدرسة الفلاسفة الفرديين التى تتطرف حتى تنكر أن هناك تاريخا الا تاريخ الافراد الممتازين أو الأبطال ، بالجماعة وما لها من قوة متمثلة فى عرفها وتقاليدها وقيمها ، والسياسة وما لها من قوة متمثلة فى جيوشها وأموالها ، والاقتصاد وماله من قوة متمثلة فى التاجه وأسواقه، وكل ما عدا ذلك من العوامل الاجتماعية رهين بارادة الفرد الممتاز الذى يخلق التقاليد وينشىء القيم ويشكل السياسات ويغير صور الاقتصاد كيف يشاء . حتى عوامل الطبيعة التى ليس للانسان القدرة على التحكم فيها يستطيع العظيم فى نظرهم أن يذللها وأن يخضعها لاغراضه حتى تصير بين يديه آلة خادمة لا عاملا مسيطرا موجها له فى الحياة .

من أى هذه الفرق كان العقاد ؟

كان العقاد من المثاليين بغير نزاع .

فلقد تشكل مذهبه ونسقه فى فهم التاريخ وحركاته الكبرى أولا ، ثم أخذ يطبقه على كل حركة أو سيرة يتعرض للتأليف عنها .

كان يرى أن للتاريخ وجهة مفهومة معقولة تدل عليها أحداثه الماضية فى تسلسلها وتعاقبها لدى كل

من عنى بان ينظر الى التاريخ نظرة الفيلسوف الشاملة الماسحة .

هذه الوجهة لتاريخ الانسان وحياته مع ابناء جنسه مستمدة من كونه كائنا عاقلا له تاريخ ، لأن الانسان ما امتاز بالعقل الا لأنه يعرف الماضى ويحفظه ويعتبر بما حدث لاجيال جنسه السابقة فيقلع عن بعضها ويستزيد من بعضها الآخر ، من حيث لاطاقة للحيوان بهذا الاعتبار وهذا الاستبصار لما وقع للاجيال السابقة من بنى جنسه .

وهى وجهتان : احداهما تخص الفرد ، وهى ازدياد نصيبه من التفرد والحرية واحتمال المسئولية ، والأخرى تخص الجماعة ، وهى ازدياد نصيبها من التعاون والتضامن والتكافل والاتصال .

يقول فى كتابه « **روح عظيم : المهاتما غاندى** » :

« هل للتاريخ الانسانى وجهة معينة نستطيع أن نتبينها من جملة الحوادث الماضية ؟

هذا سؤال يتوقف جوابه على سؤال آخر ، وهو : ماذا عسى أن تكون وجهة التاريخ المعقولة اذا تخيلنا له اتجاها يتوخاه على نهج مرسوم ؟

شىء يتعلق بالانسان الفرد .

وشىء يتعلق بالناس كافة أو بالانسانية جمعاء .

فالشىء الذى يتعلق باتجاه الانسان الفرد هو ازدياد نصيبه من الحرية والتبعة .

والشىء الذى يتعلق بالانسانية جمعاء هو ازدياد نصيبها من التعاون والاتصال . »

ويستطرد بعد ذلك ليبين لنا كيف أن كل حركة من حركات التاريخ الكبرى قد خدمت هذين الغرضين وزادت من تاكيدهما وثباتهما على وجهتهما حتى ولو كانت هذه الحركات انما قامت بدوافع مناقضة لهما فى نفوس الذين قاموا بها . فكأنما هدف كونى يعمل له الانسان واعيا وغير واع ، ويخدمهما من توفر لخدمتهما ومن تنكبهما على السواء .

والحرية عند العقاد مذهب كامل فى الشعر والادب والسياسة والاقتصاد والاصلاح الاجتماعى، وليست خلاصة بحث بحثه فى التاريخ او فرضا علميا اقتنع به بعد دراسة التاريخ .

يقول فى احدى خطراته :

« قال المعرى :

والناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

ولو قال « سادة » لما اخطأ الصواب . » فكأنه لا يرضى بالتكامل الاجتماعى وحده ، وهذا ما تشير اليه كلمة « خدم » التى استعملها المعرى ، وانما يريد معه الحرية التى تفهم من كلمة « سادة » . ومعنى البيت لايتغير بتغير هذه الكلمة لأننا ان كنا جميعا خدما بعضنا للبعض ، فاننا فى الوقت نفسه سادة بعضنا لبعض ، ولا يتغير حتى وزن البيت بتغير الكلمة ، وكل مايتغير هو القافية ، وما اجراء القافية فى أربعة أبيات من اللزوميات على أبى العلاء بشىء ثقيل .

والذى نخرج به من هذا ان رأيه فى وجهة التاريخ شىء سابق على دراساته فى أبحاث التاريخ وسير أبطاله . وهو ما عنيناه بقولنا انه من المثاليين .

ويبدو لمن ينظر أول وهلة الى سيره وتواريخه وما فيها من حماسة واعظام للابطال أنه من الفرديين المتعبدين فى محراب البطولة والامتياز .

وهى نظرة صادقة ولا شك .

ولكنها ليست صادقة كل الصدق . اذ كان مفهومها اغفال الجوانب الاجتماعية فى حركات التاريخ فان اهتمامه بهذه الجوانب ليستفيض أحيانا حتى يكاد أن يسلكه فى عداد الاجتماعيين .

بل ان من كتبه ما يفسر أكبر حركات التاريخ على أساس من تطور الحضارات وقيم المجتمعات . ؟

ففى كتابيه « **عبقرية الامام** » و « **ابو الشهداء** »، كما فى كتابيه « **ذو النون** (و « **معاوية بن أبى سفيان فى الميزان** » ، علل تطور الحركة الاسلامية الكبرى التى سميت بالفتنة الكبرى تعليلا حضاريا اجتماعيا ، خلاصته أن الزمن قد تغير ولم يعد يصلح للامامة على سنة الخلفاء الراشدين .

قال فى كتابه « **أبو الشهداء** » .

« قلنا فى كتابنا عبقرية الامام ما نحواه أن الكفاح بين على ومعاوية لم يكن كفاحا بين رجلين أو بين عقلين وحيلتين ، ولكنه كان على الحقيقة كفاحا

بين الامامة الدينية والدولة الدنيوية ، وان الايام كانت أيام دولة دنيوية فغلب الداعون الى هـذه الدولة من حزب معـاوية ، ولم يغلب الداعون الى الامامة من حزب الامام ، ولو حاول معاوية ما حاوله علي لأخفق وما افلح ، ولو اراد أن يسلك غير مسلكه لما أفاده ذلك شيئا عند محبيه ، ولا عند مبغضيه .

« فاذا جاز لأحد أن يشك في هـذا الرأي وأن يرجع بنجاح معاوية الى شيء من مزاياه الشخصية ، فذلك غير جائز في الخلاف بين الحسين ويزيد . وكل مايجوز هنا أن يقال ان أنصـار الدولة الدنيوية غلبوا أنصار الامامة على سنة الخلفاء الراشدين ، لأن مطالب الامامة غير مطالب الزمان . »

فاذا كان هذا أوضح مثل لتعليل الحركات الكبرى بالعوامل الاجتماعية ، فان الامثلة عليه فيما هو دون ذلك كثيرة متواترة في سير العقاد . ؟!

كتب سـيرة « ابن الرومي » فاستغرق ثلث الكتاب تقريبا في بيان الحالة الاجتماعية والحضـارية والثقافية والسياسية والاقتصادية وما اليها .

وكتب عن « شعراء مصر وبيئـاتهم في القرن الماضي » ، لأن لبيئاتهم شأنا في شعرهم .

وكتب « هتلر في الميزان » فكان احد فصـوله بعنوان « مخلوق الظروف والملابسات » .

وكتب « عبقرية محمد » فمهد لها بتصوير عالم في حاجة الى رسالة وجزيرة في حاجة الى رسـالة وقبيلة واسرة هي أخلق ما تكون لانجاب الرسـالة وفرد هو أولى الناس بتلقي الرسـالة من وحي السماء .

واذا استطردنا الى آخر سلسلة سيره لوجـدنا هذه الظاهرة مطـردة لا انكـار فيها ويكفينـا ما اوردناه من شـواهد هي أول ما كتـب في أدب السيرة ، دليلا على أنه رأي عنده أصيل ، تنوعت حتى شملت الدراسة الادبية والسياسـة والدين ومذاهب الاصلاح ، وتفاوتت حتى كان فيها من يعلو الى ذروة العبقرية ، ومن يهبط في الميزان حتى يعد حثالة بني آدم وحواء .

فليس العقـاد اذن من الفريدين المتطرفين ، ولا هذه الظاهرة مطردة لا انكـار فيهـا ويكفينـا ولكنه آخذ من كل من الفريقين بنصـيب وبقدر مقدور .

غير أنا لا ينبغي أن ننسى أنه في عنايته بكل من الجانبين انما يرجح جانب الفرد والعظيـم ، لا على أساس مذهبي في تفسـير التـاريخ واطراره وحركاته ، ولكن على أساس أخـلاقي بمعزل عن التعليل والتفسير .

فلا يبعد أن يكون العظيم ضحية الظروف لأنها أقوى منه ، ولكنه يستحق الاعظام والتكريم عنـد بني الانسان لأن العظمة هي ثمرة الحيـاة ، ولأن العظيم لا مكافأة له عند بني البشر الذين استفادوا من عظمته وبطولته وفدائه وتضحيته الا التكريم والاعظام ولأن الانسـان هو الخاسر باعمال العظماء وغمطهم تكريمهم وهو الكاسب بهذا الاعظـام والتوقير ، ولأن هذا التوقير والاجلال أشبه بالفطرة والسجية التي تدفع الانسان الى العناية بأحسـن ثماره واجملها واكبرها، فما يتسابق الناس الى ادراك الاوساط من الامور وانما يتسابقون لادراك العظيم المتفرد الذي ليس له نظير .

فهو اذن حق يؤدى ، وسواء الاخلاق يقضي بأداء الحقوق .

قال في مقدمته « لعبقرية الصديق » :

« ومن همنا ان تكون الصورة صـادقة كل الصدق في جملتها وتفصـيلها ... فليس من غرضنا التجميل الذي يخرج بالصورة عن حقيقتها .... ولكن تجميل الصورة شيء ، وتوقير صاحبها شيء آخر ، فانك اذا صورت أبا بكر ورفعت صورته مكانا عليا لم تكن قد أضفت اليه جمالا غير جماله، او غيرت ملامحه النفسية بحيث تخفى على من يعرفها ، فهذا هو التوقير الذي لايخل بالصورة ولا يعاب على المصور .... »

واوضح من ذلك قوله في « أبو الشهداء » وهـو بصدد الكلام عن موقف المؤرخين من الاريحيـة والمنفعة :

« الصواب أن العطف على المنفعـة عبث لامعنى له ، ولا حكمة فيه .

« وأن العطف على جانب الأريحيـة واجب يخشى على الناس من تركه واهماله ، بل هو مناقض لصميم الفطرة التي من أجلها فطر الناس على الاعجاب بكل ما يستحق الاعجاب .

« فليس يخفى على الناس يوما أن ينسوا منافعهم

ويقصروا فى خدمة أنفسهم سواء عطف عليهـا المؤرخون أو أعرضوا عنها ساخرين منكرين •

« ولكنهم يخسرون الأريحية اذا فقدوها وفقدوا الاعجاب بها والتطلع اليها ، وهى التى خلقت ليعجب بها الناس • »

ويعرف العقاد ويعترف بأن العظيم عادة ما يلقى العنت والاعراض من معـاصريه ، من حيث يلقى النفعيون والانتهازيون والوصوليون المنافع والاكرام من هؤلاء المعاصرين •

ولكن العظيم حقا هو من لا تغريه هـذه المعاملة الظالمة بترك ما خلق له من عظائم الأمور « ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيـا • » كما قال تعالى فى كتابه الكريم •

بل ان العظيم حقا من لايستطيع أن يغير من خلقه ولو أراد ، فكأنه النحلة لاتفرز الا شهدا وان تراءى لها يوما أن تفرز السم الزعاف •

قال فى قصيدته التى نظمها فى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على موته :

« لايقدر الناس يوما أجر سـادتهم
وانمـا يقـدرون الأجر للخـدم

« أجر العظيـم زماع فى جوانحـه
يجزيه بالأمن احيـانا وبالألم »

فلئن كان هذا ديدن الجمهور من معاصرى العظماء ، فلا يبلغن الكنود بالانسـانية أن تغمطهم حقهم بعد الممات ، فتحرمهم المنفعة فى دنياهم وتجزيهم الخمول والنكران فى ذكراهم ، فتلك أحط وهد من الاخلاق يسف اليه انسان •

ولكن ما العظيم الذى يستحق هـذا التكريم ؟ وكيف يتفاضل العظماء !

ما دامت العظمة سمة أخلاقية ، فلعلنا أن نصل الى معناها ومقياس التفاضل فيها لو بدأنا من أول الطريق •

أسفل الناس فى سلم الأخلاق من اتخذ شعاره فى كل الامور من قول ماكيافللى «ان الغـاية تبرر الوسيلة فيكذب ويرائى وينافق ويسـتبد ويطغى ويعتو ، ولا يعصمه فى سبيل أغراضه عاصم ، ولا قبل له بمقاومة لباناته ـ أيا كانت ومهما تكن سفالة الوسائل اليها •

ويرتفع الانسان فى سلم الاخلاق كلما ازدادت قدرته على كبح نفسه ولباناتها امتثـالا للاخلاق واستمساكا بالفضائل •

فمن غلب الاثرة على الأنانية حين تصطدم المصالح والاهداف خير ممن يتمسك بأنانيته •

ومن غلب المصلحة الوطنية على العصبية الضيقة خير ممن تشبث بالعصبية •

ومن غلب الانسانية على هؤلاء جميعا أعظم منهم جميعا •

حتى اذا اتسع به الافق فصار يعمل لمصـلحة الانسانية كلها فى قديمها وحديثها ، فى بيضهـا وسودها ، فى منافعها المادية وقيمها وعلمها وفنها وفكرها ووجدانها ، فهو العظيم •

ومن لم يتخذ من ذلك سـبيلا فهو وحش حقير وان كان معدوم النظير ، ولهذا كان العقـاد يحتقر نابليون وهولاكو وهتلر ، وان كانوا ذوى أثر بعيد فى فنون القتال وكسب المعارك والحروب ، بل ان الواحد منهم ليزداد فى نظره حقارة كلما ازداد أثره هذا بعدا واتساعا ، فالعبقرية عنده أخلاقية لا يمكن أن تنعزل عنها سمة الاخلاق •

ولا يزال أمام الانسان بعد العبقرية شأن محمود هو الشهادة ، لان الشهادة أعظم فى جانب الاخلاق، وان كانت أقل فى الفاعلية الايجابية من العبقرية • اذ الشهيد هو من غلب نفسه فى أخص أغراضهـا وهو حفظ الحياة ، وانه لغرض يسمح الله فيـه لعبده أن ينطق كلمة الكفر ليستنقذ نفسه من برائن الاقوياء •

قال تعالى : «من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم • »

فمع الاكراه تسقط المسئولية ، أما اذا استطاع العظيم أن يتغلب على نفسه حتى فى هـذا الغرض فذلك هو الشهيد ، ذروة ما تصل اليه الانسانية من شأو أخلاقى بعيد ، وحق له عند الانسانية أعلى ما تملى من عطف وتقدير ، وأغلى ما تغلى من اعظام وتبجيل •

أحمد ابراهيم الشريف

من هواديب سنة ١٩٦٤ ؟

ماذا تقول تقارير المرشحين الثلاثة في هذا العام

• بقلم محمد نصر •

انتهى الترشيح لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ..

انتهى تقويم اعمال العباقرة الثلاثة المرشحين للجائزة فى هذا العام ...

انتاج كل منهم وضع فى كفة وفى الكفة الثانية الفان وخمسمائة جنيه ، وميدالية من الذهب الخالص ! وكانت لجان الفحص مشغولة طوال اكثر من شهرين بدراسة انتاج كل مرشح لتقدير الوطن والمواطنين .. كانت تنصب الموازين فى جلسات سرية شهدتها قاعات مجلس الآداب بالزمالك ، كما شهدتها قاعة المكتبة فى فيلا د. طه حسين بالهرم .

ولقد احاط جلساته ــ هو الآخر ــ بسرية كاملة

والمفروض ان يظل القضاة والمحكمون محتفظين بسرية احكامهم ، وما دار فى جلساتهم من مناقشات الى ان يجتمع المجلس الكبير بكامل هيئته فى منتصف اكتوبر القادم ، لاختيار احد المرشحين الثلاثة :

- **محمد عزيز اباظه .**
- **محمد فريد أبو حديد .**
- **مراد كامل .**

والحق أن الجهد الذى بذلته لجان الفحص فى الشهور الماضية يستحق كل تقدير .. ذلك لأنه كان عليها أن تدرس وتفحص حالة كل مرشح ، وأن تقول كلمتها ــ بصراحة ــ فى الانتاج الذى انفق فيه زهرة العمر .. ونور العين !

فمن هو سعيد الحظ الذى سيفوز بجائزة العمر ، التى لا تمنح الا لمن كان انتاجه نافعا للوطن خاصة وللانسانية عامة .. ؟

● ماذا يقول التقرير السرى لكل منهم ؟

انى لا اريد بمحاولة الاجابة عن هذين السؤالين أن افاضل بين مرشح وآخر ، انما اريد ان اقدم لك كل واحد منهم على حدة ، قبل أن يصدر المجلس الأعلى حكمه فى الشهر القادم .

نقيب الشعراء



« الشاعر عزيز اباظة »

ان الشاعر محمد عزيز اباظه (٦٧ سنة) يعتبر اكثر المرشحين تأييدا من جانب الهيئات الأدبية منذ اربعة اعوام .. انه ظل يرشح منذ العام التالى لفوز العقاد بجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ، كان منافسا خطيرا لتوفيق الحكيم ، وللزيات ، وتيمور خلال الأعوام التى فازوا فيها بالجائزة ، كان من بين الهيئات التى ظلت ترشحه حتى فى هذا العام ــ جمعية الشعراء ــ بوصفه رئيسا لها ، ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بوصفه مقررا لها بعد العقاد ، وجمعية نشر الثقافة فى الاسكندرية ، وجمعية الاتيليه ،

ولجنة المسرح ، وادارة الثقافة بوزارة الارشاد ، والمجمع اللغوى ، وجامعة القاهرة ..

ويقول تقريره السرى :

● انه حاصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٢٣ وانه تقلب فى عدة وظائف الى ان ترك خدمة الحكومة وهو مدير لاسيوط سنة ١٩٤٧ .

● وانه دأب خلال اكثر من خمسة وعشرين عاما على ان يقدم جملة من الاعمال الادبية رفعته الى القمة فى دولة الشعر ، واثبتت ان له موهبة فريدة فى الشعر الغنائى .

● وان اعماله هى : ديوان انات حائرة ، قيس ولبنى سنة ١٩٤٣ ، العباسة سنة ١٩٤٧ ، الناصر سنة ١٩٤٩، شجرة الدر ١٩٥١ ، غروب الاندلس ١٩٥٣ ، شهر يار ١٩٥٤ ، أوراق الخريف ١٩٥٧ ، قافلة النور سنة ١٩٥٩، ثم قيصر فى عام ١٩٦١

● وانه قد عنى بان يلائم بين الأدب العربى والمسرح العربى ، كما يلتفت للتعبير عن حياتنا ، ووجداننا ، وشخصياتنا القديمة ، والتاريخية وانه استلهم فى مسرحياته ، غروب المجد فى الحضارة العربية .

ان **عزيز اباظه** كان يعتبر – الى وقت قريب – اكبر شعراء الشرق ويوم ان انتخب نقيبا للشعراء قبل سبع سنوات عقد لهم جلسة وحيدة فى بيته الأنيق المطل على النيل ، انتهت بوليمة فاخرة ، ومن الطريف ان المرحوم محمد مصطفى حمام أنشد المدعوين فى تلك الليلة قصيدة طويلة اذكر منها هذه الأبيات :

وللناس فى الربيع معان
ولنا فى الربيع أحلى الأمانى
فربيع الحياة عصر صبانا
وشباب الأرواح والأبدان
وربيع القلوب حب وقربى
وتواخ برحمة وحنان
وربيع الموظفين علاوات ورز
ق يأتى بغير اوان
وربيع البطون عدس اباظى
وما به من فراخ سمان !
وربيع الأديب لقيا عروس
زفها الشعر من عذارى المعانى
وربيع الربيع حفل انيق
ضم أهل النهى وأهل البيان
ثم لهذا الربيع من فلسفا
ت تحلو وكم للربيع من الوان

وناجاه الشاعر **طاهر الجبلاوى** بقصيدة قال فيها :

أوفت بعزتها على الجوزاء
دار حوت جمعية الشعراء
أعزيز ألفت القلوب سماحة
كتألف الافلاك فى العلياء
وجمعت شملا كان قبل مشتتا
فى محفل الشعراء والأدباء

الى ان قال :

موت الشعوب جهالة يفتونها
والشعر يبعث ميت الأحياء

وكما ظل عزيز اباظه يرشح اكثر من مرة لجائزة الدولة فانه رشح اكثر من مرة ايضا قبل فوزه بعضوية المجمع اللغوى ..

ويقول تاريخه الخاص انه تزوج مرتين ، وانه حينما توفيت زوجته الأولى رثاها بقصائد دامعة حزينة ضمنها ديوانه « آنات حائرة » الذى صدر فى سنة ١٩٤٣ .

وعزيز اباظه يعيش الآن حياة هنيئة مستقرة مع زوجته الثانية ، وهى ابنة السياسى القديم اسماعيل صدقى .

ابو الأوسمة !



« الأستاذ محمد فريد ابو حديد »

ان الأديب الكبير **محمد فريد ابو حديد**

(٧٢ سنة) يعتبر اكبر المرشحين فى هذا العام سنا .. انه يرشح للمرة الخامسة ، كان مرشحا فى عام العقاد ولكنه انسحب من المعركة تقديرا لمكانته ، لا خوفا منه كما قال لى .. انه الاديب الذى يستطيع ان يحول كتاباته الى وثائق اجتماعية قوية ، لا من حيث انها تقدم قطاعات من حياة العرب وانما من حيث انها تحدد مواقف حكامهم المستبدين الطغاة .. ومن اجل ذلك وجد فى احداث التاريخ مادته التى لا تنضب .. وغزا احداثه فى براعة الفنان فكان اجرأ من انفعل بالماضى الانفعال العصرى اللبق ، ولعل هذا يفسر لماذا استقبل القراء – فى شرقنا العربى – بحماسة بالغة انتاجه الروائى • قدم لنا « انا الشعب » كما قدم « عنتره » .. خطط لعمله الحكومى بقدر ما خطط للرواية ، بفهم وذكاء ، كان وهو يشغل ارفع مناصب الاشراف فى وزارة التربية لا يوصد بابه فى وجه طارق •• كان يلقى كل ذى حاجة بوجهه الباسم •• وصراحته المعروفة •

وهو بالرغم من ان شعره اصبح فى لون الثلج فان حيوية الشباب ما تزال تعمر قلبه ..

فى العام الماضى رشحه الدكتور طه حسين للجائزة الكبرى ، بوصفه كان رئيسا للجنة ، وغادر القاهرة الى اوربا ، وفى اليوم المحدد للتصويت على المرشحين كان طه حسين غائبا ، وقيل يومها انه لو كان حاضرا لرجحت كفة أبو حديد ولفاز بالجائزة بدلا من تيمور !

وفى هذا العام عقد للجنة الترشيح اجتماع بفيلته « راحتان » بالهرم ، انتهى باعادة ترشيحه ثم سافر الى اوربا .. ولكنه – بكل تأكيد – سيشهد فى هذا العام ليلة التصويت على أسماء المرشحين فى المجلس .

ولقد رشحته رابطة التربية الحديثة ، ولجنة التاليف والترجمة والنشر ، كما رشحه المجمع اللغوى ، وجامعة عين شمس ، ولجنة الفنون الشعبية .

ويقول تقريره السرى الذى يحتفظ به الآن يوسف السباعى فى مكان امين :

- انه انصرف الى الكتابة من نحو خمسين عاما ، ثم عكف على التاليف والترجمة ، عالج فى تاليفه نوع القصص ونزع الى بث الروح القومية ، واقتبس أكثر موضوعاته من تاريخنا القديم والحديث ، فوصل بهذا الشكل حاضر الامة بماضيها الحافل بضروب العظمة والسمو وانواع الفنون والعلوم .

- ان ابطال قصصه نماذج صالحة للبطولات امثال « سيف بن ذى يزن ، وعنترة ، والمهلهل » ومن الحاضر امثال عمر مكرم ، فهو من هذا الوجه فى جملة الكتاب الذين مهدوا فى عصرنا للنزعات القومية ، التى نرى آثارها فى مصر ، واكثر بلاد العرب ، وقد ترجم بعض مقطوعات شكسبير الغنائية ، وبعض رواياته مثل مكبث• والترجمة – فى مذهبه – يجب ان تكون قطعة من الأدب العربى بدلا من ان تبقى تعريفا بالاثر الادبى المترجم • كل ذلك الى عمله فى الميدان التعليمى معلما وموجها ، فى مراحل التعليم المختلفة ، ومستشارا فنيا لوزارة التربية والتعليم ، كما ساهم فى النهضة التعليمية فى المملكة الليبية المتحدة اذ عمل مستشارا فنيا لوزارة المعارف عدة سنوات

- انه عمل مدرسا للتاريخ نحو اكثر من ربع قرن وتخرج على يديه عدد كبير من المؤرخين •

- انه عاش نموذجا حيا لأبطال قصصه المكافحين وقبل خمس سنوات كرمته الدولة بمنحه وسام الجمهورية تقديراً لحميد صفاته ، وجليل خدماته فى التربية والتعليم ، كما جاء ببراءة الوسام وعندما أحيل الى المعاش كرمته وزارة التربية والتعليم بمنحه وسام الاستحقاق ..

قال لى انه انتهى من تاليف كتابين احدهما باسم « جارة الوادى » وفيه يتناول ذكرياته وانطباعاته عن ليبيا التى عمل فيها مستشارا فنيا ، والثانى ، هو دراسات فى النقد الادبى يعالج فيه فوضى النقد السائدة عندنا ، فان خطوات الأدب الحديث فى مصر مثل القصة ، أو الشعر الحديث لم تكن معروفة فى الزمن القديم ، ولذلك لم يعرض النقاد القدامى لهذين اللونين من الوان الأدب ، كما لم يعرضوا للملحمة ، او ادب المقالة ، ولذلك فان الأدب العربى الآن يمكن ان يقال انه خطا الى الأمام خطوات سبق بها النقد ، ومن الواجب متابعة هذه الخطوات .

حيرة بين العلم .. والادب !



« الدكتور مراد كامل »

ان الدكتور **مراد كامل** .. عضو المجمع اللغوى، ورئيس قسم اللغات السامية بآداب القاهرة هو المرشح الحائر بين الادب والعلم .. عندما رشحه المجمع العلمى المصرى لجائزة الدولة فى الآداب هذا العام طالب طه حسين فى اجتماعه الأخير بلجنة الآداب باحالة أوراق ترشيح الدكتور مراد الى لجنة العلوم الاجتماعية ، ولكن المصادر المسئولة فى مجلس الآداب والفنون عادت تؤكد ان الكلمة النهائية ستكون لهيئة المجلس مجتمعة ..

ان المجلس العلمى الذى رشح د. مراد يقول :

ـ انه على يقين من انه اولى المرشحين بجائزة الأدب لما اداه للأدب من خدمات .. ولما بذله لزيادة ثروة اللغة العربية ، سواء اكان ذلك فى الجامعة كأستاذ ورئيس لقسم الدراسات السامية بآداب القاهرة أو كعضو فى مجمع الخالدين ، ولما اعده من بحوث ومؤلفات تزيد على المائة بحث باللغات فى مدرسة الألسن حينما كان عميدا لها .

ان الدكتور مراد كامل يقف الآن على أبواب الستين عاما ، ومع ذلك يسمونه فى المجمع اللغوى « فتى الخالدين » انه جمع فى مكتبه عشرين ألف كتاب تعد مرجعا لدراسات وابحاث تلاميذه فى الجامعة .

● انه تخرج فى الجامعة قبل اثنين وثلاثين عاما فى قسم اللغة العربية ، ومن المانيا حصل على الدكتوراه فالأستاذية ، وعاد لينشىء معهد اللغات الشرقية بالجامعة قبل أكثر من ربع قرن .. والى الحبشة ذهب ليعلم ابناءها فوصل الى درجة كبير العلماء أو «ليقاماميران» كما يسمونه هناك ! ومنها عاد لينشىء مدرسة الألسن ، وبين المدرسة والجامعة والمعاهد الاخرى ظل يعمل ويعلم الطلاب حتى لحق بأساتذته الخالدين منذ أربعة أعوام .. وهناك اكتشفوا انه اصغر الأعضاء سنا ، ولهذا لقبوه بالفتى !

● ان الذى لا يعرفه الكثيرون من تلاميذ د. مراد انه لم يتزوج بعد .. وانه استغنى عن الخدم بعد ان اكتشف انه يجيد اعداد طعامه بنفسه !

وأخيرا .. يكون النصاب القانونى لعدد الحاضرين فى يوم التصويت على جائزة الدولة ـ بعد عشرين يوما تقريبا ـ يجب الا يقل عن ٣٢ مضروبا فى ٧/٨ أى ٢٨ عضوا . وذلك قبل استبعاد المرشحين للجائزة من اعضاء المجلس وعددهم اثنان فقط : هما فريد ابو حديد ، وعزيز اباظه .

● ترى من هو سعيد الحظ . . اديب سنة ١٩٦٤ الذى سينال جائزة العمر ؟

« محمد نصر »

وحدة الخلق عند العقاد

• بقلم الحسانى حسن عبد الله •



العقاد من الذين يصدق ان نقول فيهم انهم يفكرون بالشعور ويشعرون بالفكر ، ففى كثير من ارائه يتجلى عمق الشعور الى جانب قوة الفكر . حتى فى المسائل التى تبدو اقرب الى برودة المنطق منها الى دفء الشعور كمسائل الفلسفة فهو – فى كثير من نقده للمذاهب وتفنيده للنظريات – يستفتى شعوره بنفس القدر الذى يستفتى به فكره . من هذه الاراء رايه فى **«وحدة الخاق»** فليست الخلائق شتيتا مشعثا ينتثر فى الكون كيفما اتفق ، بل هى اسرة يجمع النسب اطرافها مهما تباعدت ، ينتظمها القصد وتحددها العناية . فى هذا الراى يلتقى العقاد مع القائلين بالتطور ولكن مصادره لاتقف عند البحث العلمى او النظر العقلى بل تتجاوزهما الى الحدس الشعرى الذى يصل به الى حيث لايصل العالم الذى يقتصر على المشاهدات والاحصاءات او الفيلسوف الذى يقتصر على اعمال المنطق فى اثبات قضية ونقض اخرى . بهذا الحدس يفسر رثاء الكلاب لاصحابها الغائبين ، واطمئنانها للاطفال واطمئنان الاطفال لها فيرجع بالباعث الى تلك الصلة الحميمة بين المخلوقات منكرا ان تكون المنفعة هى الباعث . يقول من قصيدته فى رثاء كلبه «بيجو» .

أبكيك • أبكيك وقل الجزاء

ياواهب الود بمحض السخاء

يكذب من قال طعام وماء

لو صح هذا ما محضت الوفاء

لغائب عنك ، وطفل رضيع

وحدة الخلق بهذا المعنى عرض لها العقاد فى كتابيه «الفصول» و «فى بيتى» عرضا لايلتبس على القارىء المدقق ولكن ماكتبه الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «مع العقاد» عن هذه الفكرة يدعونا الى عرضها مرة اخرى حتى تخلص عما علق بها من

تفسير الدكتور . يقول عن العقاد ان الوعى الكونى جعله «يؤمن بوحدة الكائنات ووحدة الخلق فيهـا جميعا ، فما الفراش والطير والحيوان والانسـان الا حقيقة مطلقة واحـدة ، فرقهـا الله فى عيـوننا وميزها فى عقولنـا ، ولكن ينبغى الا نقف عندما ترينا العين ولا عندما يرينا العقل وانما نقف عندما يرينا الوعى الكونى فستجد تشابها فى غرائزها وفى طبائعها وسنحس انها جميعا حقيقة مطلقة واحدة، وقد صدر عن هذا الوعى قديما فى كتابه « مجمع الاحياء » اذ تصور مؤتمرا فى غاب افريقيا شهده القرد والحمامة والاسد والنمر والثعلب والرجل والمرأة وسائر الاحياء ومضى يجرى على ألسنتهم معانى الحق والقوة والخير والشر محاولا أن يصل الى الحقيقة المطلقة التى تبدأ منها وتنتهى اليها اعمال الناس فى الحياة » .

***

هذه العبارة على قصرها تتضارب فيها الاخطاء لنقف أولا عند التعبير « بوحدة الكائنات » فهو تعبير جديد على القاموس الفلسفى وضعه الدكتور شوقى قاصدا – بلا ريب – أن يكون له معنى ، فماذا يعنى ؟ ان الكائنات مما يندرج تحت الجماد والنبات والطير والحيوان والانسان ليست مجموعة اشياء كما يتبادر الى كل ذى عقل وانما هى شىء واحد !! وبلا ريب ايضا لم يرد الدكتور هذا المعنى وانما التعبير هو الذى اراده . التعبير الذى وضعه ليكون مفسرا أو مرادفا لوحدة « الخلق » عند العقاد . والفارق بين التعبيرين هو استخدام العقاد للمصدر واستخدام الدكتور للاسم . والمصدرية هنا مقصودة لأن العقاد يريد الوحدة فى «عملية» الخلق لا الوحدة فى المخلوقات . يريد أن الخلق عملية واحدة أو « تجربة واحدة » – كما سنرى فى كلامه بعد قليل – ينبىء جميع مراحلها عن « القصد » وبذلك تكون وحدة الخلق دالة على وجود الخالق وعلى وحدانيته وعلى ذاتيته وعلى عنايته أما وحدة الكائنات فليس لها دلالة على شىء هذا الفارق – كما رأينا – ليس بالأمر الهين وبخاصة فى مجال الفلسفة فهو يفصل بين كلام يقبله الفهم وكلام لا يقبله أى فهم . هذا الفارق يدلنا على ان الفلسفة لم تضع اصطلاح « وحدة الوجود » ارتجالا او اعتباطا ، فاستعمال المصدر هو الذى جعل الاصطلاح ينفى الفصل بين الموجد والموجود ، ولو استعمل الاسم لما تحقق هذا النفى، فالبعد بين «وحدة الوجود» و «وحدة الموجودات» هو كالبعد بين « وحـدة الخلق » و « وحـدة الكائنات » . ثم يشرح الدكتور ما يريده بوحدة الكائنات وما فهمه من وحدة الخلق فاذا الفراش والطير والحيوان والانسان « حقيقة مطلقة واحدة» وبهذا المعنى يتم الترادف بين « وحدة الوجود » و «وحدة الخلق » و «وحدة الكائنات » فلا ندرى بها يريد . فاذا قيل ان الدكتور لم يغفل وجود الله قلنا لا محل لهذا الوجود بعد وجود « الحقيقة المطلقة الواحدة » والا فماذا تعنى هذه الكلمات الثلاث اذا لم تعن أن الوجود هو الله وأن الله هو الوجود ؟

نحن بين احتمالين لا ثالث لهما ، اما أن الدكتور اراد بهذا الكلام ان يعبر عن وحدة الوجود فخانه التعبير وبذلك يكون قد نسب الى العقاد فكرة ينقضها نقضا صريحا ، واما انه اراد ان يشرح رأى العقاد فى وحدة الخلق فصنع متاهة لقطية لانخرج منها برأى واضح ولست ادرى عن اى كتب العقاد صدر الدكتور وهو يعرض هذا الشرح ولكن الذى ادريه أن المصدر الذى اعتمد عليه كما يزعم وهو كتاب « الله » ليس فيه جملة واحدة عن « وحدة الخلق » . يقول ان فكرة الوعى الكونى تعانقت مع فكرة وحدة الكائنات وان العقاد « مضى يصدر عن الفكرتين فى كتابه – الله – » وأى قارىء للكتاب يقول ان هذا حشر للمراجع فى غير موضعها . ولو رجع الدكتور الى كتاب العقاد « فى بيتى » لوفر على نفسه عناء الاجتهاد فى شرح فكرة يشرحها صاحبها فيقول : « عادة عندى – بل أقوى من عادة – ان أشعر بوحدة الخلق كله وان انظر الى جميع الأحياء كأنها تجربة واحدة تنجلى عن مقصد واحد، واننا ربما فهمنا مقصد التجربة من مسوداتها الاولى قبل أن نفهمه من النسخة المنقحة المصقولة ، وان

كانت النسخة المنقحة المصقولة أجود فى التعبير وأفصح فى الأداء . وما قرأت قط خرافات الأقدمين عن وشائج الأحياء الا خيل الى أنها تنطوى على اكثر من خرافة أو لعبة خيال ، وتساءلت قبل نيف وثلاثين سنة عن مغزى تلك الاساطير التى تحكى عن اناس لهم إجسام آدميين ووجوه كلاب ، أو مغزى تلك التماثيل التى تجمع بين أجسام الوحوش ورءوس الآدميين ، فقلت من كتاب الفصول « ما مغزى هذا الاجماع والتواتر ؟ وماذا فى طى الاعتقاد بأن الانسان يتحول أحيانا من هيئته الى هيئة حيوان أدنا منه ، أو أن فى عالم الحياة مخلوقا بعضه انسان وبعضه حيوان ؟ هذا شعور لم يرد الينا من ناحية الحواس ولكنا لانجهله وصحيح أن الخيال مفطور على مزج اشكال الحس والباس الموجودات لباس الانسانية ، ولكن لماذا فطر الخيال على ذلك ؟ أكان يستحيل أن يفطر على غير هذه الفطرة ؟ وهل لو خلق الانسان من غير عنصره المعروف كان يتخيل هذا الخيال بعينه ؟ الا يجوز أن يكون مغزى هذا الاجماع والتواتر أن فى جبلة الانسان شعورا راسخا بوحدة الخلق وتلاحم سلسلة المخلوقات .. » .

ثم يقول العقاد « وهذا الشعور الكمين لا أحسبه كان غائبا عنى يوم نشرت «خلاصة اليومية» وكتبت فى تصديرها « ان الانسان حيوان راق ولكنه لايزال حيوانا » ، ويوم كتبت مجمع الاحياء وعقدت فيه مؤتمر الحياة بين الحمامة والأسد والنمر والقرد والثعلب والانسان والمرأة وسائر الاحياء ، ثم يوم رثيت كلبى « بيجو » وجعلته شاهدى على بعض المذاهب فى التربية والدراسات النفسية » .

تلك هى الفكرة كما أرادها صاحبها . شعور نافذ يتغلغل الى أعماق الحياة فيلمس العرى التى تربط بين الاحياء ، ويستكنه القصد من التجربة التى تمر بمراحل مختلفة متكشفة فى كل مرحلة عن جديد ، تقوم الوشائج بينه وبين سابقه ولاحقه .
أما فى ترجمة الفكرة كما عرض لها قلم الدكتور شوقى ضيف فالكائنات كون واحد هو والحقيقة المطلقة شىء واحد ، لكنهما وتلك أعجوبة الأعاجيب لا يضيقان بوجود الله ، بل يكلان اليه عملا لا بأس به هو أن « يتفرق » فى عيوننا و « يتميز » فى عقولنا . وهنا نعود الى عبارة الدكتور فنجده ينصحنا بأن « لا نقف عندما ترينا العين ولا عندما يرينا العقل ، وانما نقف عندما يرينا الوعى الكونى » فماذا يرينا هذا « الوعى الكونى » ؟ تشابهها فى الغرائز وفى الطبائع بين الفراش والطير والحيوان والانسان !
ما هكذا يرينا الوعى الكونى ولا هكذا أراده العقاد أن يكون . والا فاذا كان ادراك التشابه فى الغرائز والطبائع ليس من عمل الحس والعقل فما الذى يتميز به هذان عن « الوعى الكونى » ؟

أهو كلمة جديدة يضيفها العقاد الى الكلمتين بغير ضرورة ؟ كلا . ليست هذه وظيفة الوعى الكونى وانما وظيفته ان يكمل عمل الحس والعقل من أجل الوصول الى « الايمان » . فالايمان بغير استشعار ما سماه العقاد « وطأة الكون » ايمان ناقص لان المعول فى الايمان ليس على العلم وحده فقد يكون العلم ولا يكون الايمان . وهكذا الأمر فى كل شعور وكل عاطفة ، العلم بهما لا يكفى لمعرفتهما . ولكى يدلل الدكتور شوقى على ثقته مما يقول اتخذ من « **مجمع الاحياء** » مصدرا لفكرة الوعى الكونى . وموضوع مجمع الاحياء بعيد كل البعد عن هذه الفكرة . يقول العقاد : « هذه الرسالة وليدة الحرب العالمية الاولى . شغلنى موضوعها يومئذ لانه موضوع الصراع فى الحياة الانسانية بل فى الحياة عامة ، وأحببت أن أعرف لهذا الصراع معنى يطمئن اليه الضمير فانتهيت بالرسالة الى معنى فيه بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، وهو أن الحق والنواميس الطبيعية يتلاقيان » . الكتاب اذن مصدر لفكرة الصراع فى الحياة وليس مصدرا لفكرة الوعى الكونى . والعقاد يقول شيئا مفيدا عندما يذكر المعنى الذى انتهى اليه ، ولكن الدكتور لايقول شيئا مفيدا عندما يضن بذكر المعنى واضعا بدلا منه «الحقيقة المطلقة» . مرة أخرى سيقول قارىء العقاد : هذا حشر للمراجع فى غير موضعها . بقى شىء يتعلق بهذا الموضوع نشير اليه ونترك للقارىء التعقيب عليه . هذه العبارة التى رأينا الى أى حد تتضارب فيها الاخطاء وردت فى مقال نشرته مجلة «المجلة» فى عدد هذا الشهر منسوبة الى العقاد نفسه !

الحسانى حسن عبد الله

الإسلام وهذه الطائفية الدينية

بقلم محمد عبد الله السمان

منذ ايام نقلت وكالات الأنباء العالمية خبرا من مدينة زنزبار مؤداه ان معركة وقعت فى احد مساجد المدينة الكبرى ، حيث شهر بعض المصلين الاسلحة على البعض الآخر واسفرت المعركة عن قتلى وجرحى ، والسبب فى ذلك خلاف ناشىء بين الطوائف الدينية بسبب بعض المعتقدات ...

هذا هو الخبر : ولك ان تضحك بملء فيك او تبكى بملء عينيك ، فسيان هنا فى هذا الموقف الضحك والبكاء ، ولك بعد ذلك ان تتساءل عما يكون هذا الخلاف ، واغلب الظن انه خلاف تافه . لأن الطوائف الدينية فى افريقيا بأسرها لم تزل بدائية متخلفة ، تهيمن على معظمها الطرق الصوفية، التى ارادت لنفسها ان تظل الى الأبد اداة طيعة للاستعمار من طريق مباشر وغير مباشر ، وان تظل كذلك تفسح الطريق لجهات التبشير ، لتعمل فى صمت وهدوء ، تاركة المسلمين يتلذذون بغوغاء التصوف ، وصخب الطوائف المتدينة .

هذه الطوائف الدينية فى افريقيا تنقصها الثقافة الدينية الواعية المستنيرة ، التى ترتبط بمفهوم الاسلام الصحيح ، وبدون هذه الثقافة لا يمكن للمسلمين أن يتخلصوا من كهنوتية دينية تفرض سلطانها عليهم ، وهذه الكهنوتية يرتدى شعارها مشايخ الطرق الصوفية الذين ينافسون بنفوذهم نفوذ السلطات الحاكمة ، بل ان السلطات الحاكمة، ولاسيما اذا كانت من الأدوات الاستعمارية تتودد الى مشايخ الطرق الصوفية ، لاعتقادها ان هؤلاء المشايخ ايسر طريق الى كسب عواطف الشعوب فى الانتخابات البرلمانية المزيفة ، واظن ان بقايا الاستعمار يشرح صدورها ان يظل المسلمون متفرقين متنازعين متقاتلين من اجل سفاسف الأمور الدينية فى مظهرها ، ولا تتورع هذه البقايا الاستعمارية عن أن تسهم فى اشعال الفتنة ، وفى امداد معاركها بشتى اسلحة الدس والوقيعة .

قال لى طالب افريقى بالدراسات العليا بالأزهر :

ليست زنزبار وحدها فى افريقيا هى التى تعانى مثل هذه المهازل ، فكل دول افريقيا السوداء مليئة بالمآسى التى تتفجر احيانا باسم الدين ، وربما قامت معركة فى مسجد لان المؤذن نسى ان يصلى على الرسول بعد الأذان ، او لأن خطيب المسجد لم يشد بأحد الأولياء من اصحاب الأضرحة، او لأن مثقفا نصح المصلين أن يتجهوا الى الله بدل ان يتجهوا الى صاحب الضريح .. وهكذا

وقال لى طالب افريقى آخر ايضا :

ان الطلاب الافريقيين الذين يعودون الى بلادهم ، يعجزون عن أن يؤدوا اية مهمة دينية على وجهها الأكمل ، على ان كثيرا من المواطنين يرحبون بهم كمثقفين دينيين عادوا من القاهرة ، ولو حاولوا ان يردوا عن الدين الخرافات التى الصقت به ، ويذودوا عنه المهازل التى ترتكب باسمه ، لاشعلوا فى كل يوم معركة ، لأن نفوذ الطرق الصوفية ، والطوائف الدينية المتزمتة ، تقف لهم بالمرصاد .

ان الاستعمار لم يصف اعماله نهائيا من افريقيا السوداء ، حتى فى بعض الدول التى استقلت حديثا لم تزل رواسبه تؤدى رسالته ، والمسلمون وحدهم فى الميدان ، لأن جبهات التبشير التى تؤيدها دول استعمارية كبرى لا تكتفى بنشر الوعى الدينى بين الوثنيين ، بل تعمل كثيرا على زلزلة العقيدة الاسلامية فى صدور المسلمين

انفسهم ، وكذلك التيار الالحادي يعبيء كل جهوده للانقضاض على الاسلام باعتباره ـ في نظره ـ عقبة كأداء في طريق الغزو المادي الالحادي ، وفي الوقت نفسه يشغل المسلمون أنفسهم بمعارك من أجل معتقدات لا ترتبط باصل الدين في شيء ، ويعملون بحماقات مؤلمة على تمزيق وحدتهم التي يجب ان تكون لديهم اعز من كل شيء ، أعز من الطرق الصوفية البلهاء التي تلصق نفسها بالاسلام ، وأعز من الطوائف الدينية الغارقة الى آذانها في الحماقة ، وكلاهما يقوم اساسا على الارتزاق ..

والعجيب المؤلم بعد ذلك : اننا هنا في مصر ـ بل في القاهرة اكبر عواصم الشرق ، التي اصبحت تمد افريقيا باشعاعات الفكر والمعرفة ـ تعاني تضخما في هذه الطائفية الدينية ، التي تمثلها جمعيات قرنت نفسها بالدين ، ومنذ شهور قامت معركة بين طائفتين دينيتين من أجل ضريح كان قائما في شارع الجلاء ، حيث قررت وزارة الاوقاف نقل رفاته تمهيدا لاقامة مسجد ، اذ ثارت احدى الطائفتين مستنكرة عمل الوزارة التي تعتدي على حرمات ولي من أولياء الله جاهد حملة نابليون بسيفه ، وتصدت الطائفة الدينية الاخرى لها تفند مزاعمها ، وتؤكد تقديس الأضرحة من رواسب الجاهلية الأولى ، وحنين الى الوثنية التي قوض عروشها الاسلام ، وكان ان استمرت المعركة صاخبة على صفحات مجلتي الطائفتين شهورا ..

ولا يمكن لعاقل ان يسأل الطائفة الأولى ، هل بقاء ضريح تحج اليه العوانس والمطلقات والعواقر آثر لديكم من اقامة بيت من بيوت الله تقام فيه الشعائر ، لأن لهذه الطائفة السنة حدادا تتطاول بها على كل مسلم مثقف مستنير ؟

والعجيب المؤلم ايضا ، انه ما من طائفة دينية في القاهرة تعيش في غير صراع مع غيرها ، سواء على المنابر في ايام الجمع ، ام في مجلاتها التي لاتملك غير المهاترة ، واشد عجبا من هذا ان الجمعيات الدينية كلها تتشدق فيما تخطب وفيما تكتب بالدعوة الى الاتحاد وتآلف قلوب المؤمنين، وتتباكى بحرقة على تمزيق وحدة المسلمين ، فاذا جئت تسألها لم لم تفكري في وحدة تجمع شتات جماعاتكم ، وتقوم على منهاج يخدم الفكر الاسلامي والشعوب المسلمة ، فلن تجد الا السنة اصابها العمى ، وآذانا اصابها الصمم .

لقد وقعت في يدي مجلة لاحدى الطوائف الدينية في قلب القاهرة ، والتقت عيناي بمقال تحت عنوان : « قانون الجمعيات الجديد » هذا القانون فكرت فيه وزارة الشئون الاجتماعية لتوحيد الجمعيات الدينية ، ورات ان يتصل مندوبوها بممثلين من هذه الجمعيات ، يقول كاتب المقال :

« ان السيد الرائد ـ رئيس الجمعية قد حضر الاجتماع وتحدث في نقطة حساسة للغاية وشرحها شرحا وافيا ، هي نقطة وجوب ملاحظة الناحية المذهبية عند التفكير في ضم او ادماج الجمعيات الاسلامية ، وقرر فضيلته أن الجمعيات الاسلامية في الجمهورية العربية المتحدة تنقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية : العامة التي لا يقيدها مذهب او لون ، والسلفية ومنها المعتدل والمتعسف ، ثم الصوفية ومنها المستنير وغير المستنير ... فضم نوع من هذه الاصناف الثلاثة مع غيره مستحيل استحالة ذاتية تامة الآن للخلاف الأساسي في المفاهيم والوسائل والأهداف ، بل في العقائد والآراء والاتجاهات ، ومحاولة القول بان الكل مسلم ، وضمه او ادماجه مع مسلم لا باس به ـ هذا القول سطحي يستحيل عمليا تنفيذه بحكم الواقع ، ولا يقول به رجل يعرف حقيقة الاسلام والمسلمين .. »

وبعد ـ فلا اظن ان كلام السيد الرائد الديني في حاجة الى تعليق ، وحسبك ان تدرك كم يعاني الاسلام من الطائفية الدينية .. وبكل أسف .. باسم الاسلام نفسه ! !

محمد عبد الله السمان

لا معقول

للشاعر محمود عماد

لما رأى القوم أن الفهم أعوزهم   وانهم جهلوا ضبط الموازين
ثاروا على كل معقول ومتزن   ما بين شعر وتصوير وتلحين
وهللوا لأنابيش تجيئهمو   من عاجز فى نواحيهم ومجنون
فالفن فى طرسهم او لوحهم بقع   لا أحرف وخطوط ذات مضمون
فهل تجوز من قد ظنهم بقعا   بين الورى لم تكون اى تكوين ؟
معاهد الفن فيم اليوم ننشئها   ومعهد الفن مستشفى المجانين ؟
حيث الجهابذ فى قول وفى عمل   لا يبخلون بتعليم وتلقين
قالوا فلاسفة التبقيع اجمعهم   فكم لهم كل يوم من افانين
تعسا لها نكسة بالناس راجعة   للغاب من بعد تهذيب وتمدين
ان يصبح الشعر فوضى ليس يحكمه   قانونه فلنعطل كل قانون
وان يكون عاقل فى الفن أتعسه   فليهنا الفن بالبله الميامين
اهكذا حالت الدنيا واصبح تبين   الأمور عليها غير تبيين ؟
أكل معنى عرفناه يراد به   سواه • فالاذن تعريف بعرنين ؟
والحسن يرسم أشكالا مهوشة   فالخرد العين غير الخرد العين ؟
وان تساءلت عن هذا الذى ابتدعوا   القوك فى حمأ للغو مسنون
واذ اقر بتخريف مخرفهم   صاحوا : بل ازددت فى فكر وتفنين
جهالة أم رياء أم هما اجتمعا   ووحى جيب هنا أم وحى ماعون ؟

***

من قرظوهم بتجريح لمن حسدوا   ابا لبراعة خطوا أم بسكين ؟
الصارخون بأفواه ممزقة   يبشرون بشعر غير موزون
الناس عن شعرهم أو نثرهم غفلوا   فليصرخوا كسباع أو سراحين
ما كل جار بدعوى راح يكسبها   حكما • فما الكسب الا بالبراهين
الشعر ماعاش بعد القول ازمنة   ام ماتوفى عند القول فى الحين
سيلبث الشعر اوزانا وقافية   وجدة وسموا فى المضامين
وينهج النغم والتصوير نهجهما   عند الأناسى لا عند الشياطين
مواضع السجدات اليوم نعرفها   فى القول كالأمس ، لا تغيير فى الدين
والانبياء الألى نقفوهمو ختموا   فما مسيلمة فينا بمأمون
ماذا يراد بنا أو ما يراد لنا   أنترك الذروة العليا الى الدون ؟
انهجر اللغة الفصحى وقادتها   ونستجيب لأمى ومفتون ؟
ودارج اللفظ تعييه الغثاثة عن   اخضاع سامى معانينا لتضمين
قالوا نجدد • بل هم يكذبون هل   التجديد ابدال تشويه بتحسين ؟
لو أن كل جديد قد يسوغ اذن   والعقل فى الكون صدق غير تخمين
العيش يا قوم جد غير مهزلة   والعقل فى الكون صدق غير تخمين
لئن تصدقتمو بالشعر فاقتصدوا   فليس فى شعركم حق لمسكين
وربما كان عند الصمت اجركمو   والصمت يأجر فى بعض الاحايين

أغنية بلا قرار

للشاعر فتوح أحمد

وحدى ٠٠ وأثقال الغروب تسوخ فى كبدى
تمتص كل مرارة الاحساس من جسدى
وتبث ريح الموت ٠٠ كل حنوطة الأبد
وأنا أخافهما ٠٠ أخاف الموت يا ولدى

***

دوامة الايام يا ولدى ٠٠ أتعرفها ؟ حجر !
احساسى العريان فيها كل يوم ينتحر !
ويذوب ٠٠ يستجدى ملامحك الحبيبه لاثر
من يوم أن أخذوك ياولدى ٠٠ وأنت على سفر

***

وأنا على « الشباك » ولولة وتيار ابتهال
عينى على طول الطريق ترود أقبية المحال
وتسائل المجهول عنك ، فما استراح لها سؤال
يوم وآخر ٠٠ ثم لم أذكر ٠٠ تشابهت الليال

***

جمدت خطا الايام ٠٠ لا أخبار عنك ولا كتاب
ساعى البريد ٠٠ ألست تعرفه ؟ لقد سئم الجواب
« سارى » يتمتمها فتفتح فى ظنونى ألف باب
لكنه سرعان ما يطوى الحقيبة فى اكتئاب

***

ومع الربيع تململت أوراق سدرتنا الحنون
يا روعة اللقيا ٠٠ وأقبل ياضناى الغائبون
فالنار ـ كالظلمات ـ تبهت ٠٠ والنهار له عيون
عادوا فزغرد حلمى الغافى ، وأورقت الجفون

وبلذعة النبرات فى قلبى ٠٠ باحساس الغريق
هرولت انظر فى الوجوه ٠٠ أضيع ٠٠ ابحث عن صديق
(هل عاد صاحبكم)
ومات الحرف فى الصمت العميق
ومضيت ٠٠ يفرش ناظرى المكدود أبعاد الطريق

***

ويطن فى أذنى صدى زغرودة ، وعبير ناى
وبكل درب ٠٠ كل منعطف ٠٠ وحيث مضت خطاى
شىء يمزقنى ٠٠ أراه ٠٠ تكاد تلمسه يداى
فاليوم عيد الغائبين ٠٠ فأين ٠٠ أين ترى ٠٠ فتاى

***

من يومها لم أذرع الطرقات بحثا عن حبيب
لم أندب الايام ، فالأعمار يا ولدى نصيب
وقبعت يطحن حسى المجروح معطفك القريب
وتنوشنى حاجاتك الملقاة فى البيت الرحيب

***

وتجىء زينب بنت جارتنا ٠٠ أتذكر يابنى ؟
تأتى لتسأل «هل سترجع» ٠٠ لو رجوعك فى يدى
« مهلا ٠٠ سيرجع يافتاة » وأستدير بناظرى
كيلا يموت رجاؤها ، فالحب مر يابنى

***

وأمر منه الثكل ٠٠ أن تطوى الزمان بلا قرار
أن تقضى الليل الطويل وملء عينيك انتظار
لله ٠٠ للولد الذى ـ يوما ـ سيرجع ٠٠ للنهار
أماه ٠٠ معذرة ، فليلك لن يكون له نهار !

مسـائل

الشيخ عبد الجليل شلبى منفعل ·
والشيخ عبد الجليل شلبى غاضب علينا

ونحن والله لم نرد ابدا ان تصل المسالة الى هذا الحد ، وانما أردنا فقط أن تدور المناقشة حول الأسس الفكرية لا حول ما يتفرع عنها من مسائل·

ان الأساس الفكرى عندى ان هناك منطقا للحياة ، وان هناك شهادات للتاريخ ، وان علينا أن نستفيد منهما · وانى حين اوردت قول أبى يوسف قاضى القضاة فى زمن العباسيين لم اورده الا على أساس ان الرجل قد ادرك منطق الحياة ، واعتبر بشهادة التاريخ ·

ان منطق الحياة أنها نامية ، متطورة ، متجددة ·

وتجديد الحياة قد يجىء هينا لينا أساسه النمو والتطور ، وقد يجىء مفاجئا أساسه العمل الثورى ·

وتجديد الحياة يكون دائما على أساس من التعديل ، والتحوير ، والتغيير الكامل · ويحتاج الى زمن طويل الا اذا جاء ثوريا ·

وان التاريخ ليشهد فى صفحاته الكثيرة بان التجديد يتم على حساب النظم التى تبلى والأفكار الذى تندثر ·

والقران الكريم نفسه قد أشار الى شىء من هذا ، وفطن المفسرون الى اشارته ، وذلك عند الحديث عن ارسال الرسل على فترات · فقد كان الذى يحدث أن الدين يندثر فى أنفس الناس **وأن الرسول المبعوث انما جاء ليجدد للناس الدين ·**

والمسائل التى نتناقش فيها يا شيخ شلبى يجب أن تنظر اليها على هذا الأساس الفكرى ·

ما منطق الحياة فيها ؟

وما شهادة التاريخ ؟ هل هذه الشهادة لها او عليها ؟

وتستطيع يا شيخ شلبى أن تنظر فى اسئلتك كلها على هذا الأساس · فهل تمضى مع منطق الحياة ؟ وهل يشهد لها التاريخ أو لا ؟

ولا تجزع يا شيخ شلبى حين أضع الظاهرة الاجتماعية أمام بصيرتك فأنا لم أخلقها وانما وضعتها فقط أمام عقلك وبصيرتك ·

وهذه مسألة يا شيخ شلبى أضعها أمام بصيرتك ما حكم النصوص الواردة بشأن الجزية ، وهل هى معطلة أو معمول بها ؟

واذا كانت هذه النصوص بعيدة عن الواقع العملى فهل تستطيع لها ردا ؟

عليك بمنطق الحياة وقد وضعت أنا أمام بصيرتك شهادة التاريخ ·

شىء آخر قد تدرك وحدك الباعث عليه ·

اذا رددنا الاجماع كما تتصوره أنت وتصوره كتب أصول الفقه فهل تعرض مسائل الحياة عليه اليوم على أساس من حلول المشكلات ، وتيسير الحياة على الناس او على أساس من ادخال النار ·

اننا نبحث اليوم عن حلول لمشكلاتنا · وهذه الحلول تتطلب دراسات وبحوث من الخبراء **ولم ينكر أحد قط أن يكون الخبراء فى مسائل الاقتصاد ، والسياسة ، والاجتماع ، وكل ميادين العمل من اديان مختلفة ·**

ان الاسلام الذى يبيح تكوين الأسرة الواحدة من والدين من دينيين مختلفين لايمنع أبدا أن تتكون اللجان المختصة من أناس من اديان مختلفة ·

ان الأسرة هى الخلية الاولى فى تكوين المجتمع ، وأثرها أخطر من أثر أعمال اللجان فى المشروعات الدنيوية ·

ان العلاقات الاجتماعية ، والمعاملات الدنيوية تتم بين أناس من اديان مختلفة ولا داعى أبدا للاحراج فى وطن نرجو وحدته ·

ارجو أن يذهب عنك غضبك يا شيخ شلبى · وأن تعتمد فى تفكيرك على أساس من منطق الحياة ، وشهادات التاريخ ·

كلمة

قال الامام **الطوفى الحنبلى** عند شرحه للحديث الشريف **لا ضرر ولا ضرار** انه اذا تعارضت المصلحة مع النص والاجماع وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما ·

ويقول السيد رشيد رضا · ان طريقة الطوفى هذه ليست هى القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك ، بل هى أبلغ من ذلك ·

انها التعويل على النصوص والاجماع فى العبادات والمقدرات ، وعلى اعتبار المصالح فى المعاملات وباقى الأحكام · وذلك لأن مصلحة سياسة المكلفين فى حقوقهم ··· معلومة لهم بحكم العادة والعقل · فاذا رأينا الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا أنا أحلنا فى تحصيلها على رعايتها ·

ويقول الأستاذ الغلايينى · الامام الطوفى يقصد الى بيان أن الحديث بمنزلة أن يقال بعد كل حكم نص عليه « **الا اذا اقتضت المصلحة خلافه** » ·

دكتور محمد احمد خلف الله

مكانة الاتحاد الاشتراكى

فى المفهوم الديمقراطى

بقلم زكى محمد اسماعيل

تربعت الديمقراطية على عرش السياسة المعاصرة بحيث أصبحت أوسع أنظمة الحكم انتشارا ، وأمل الأمم فى تحقيق أهدافها ومراميها ، وأصبحنا اليوم نخوض تجربة ديمقراطيـــة جديدة بلورها التغيير الثورى وحدد ملامحها فى صورة الاتحاد الاشتراكى العربى الذى كان « نتيجـة منطقية » لمقدمات من تجاربنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية خضناها على امتداد تاريخنا القومى الحديث ··· ولكن : الى أى حد يلتقى نظـام الاتحـاد الاشتراكى كمظهر لديمقراطيتنا بديمقراطيات الشرق والغرب ؟ وفى اى الدروب ينفصـل عنهـا أو يتفوق عليهـا ، وعلى اى مسلك يسير فى ضوء الديمقراطية الاسلامية ويأخذ منها ويتجاوب معها ؟··· هذا ما سنحاول أن نلقى الضوء عليه من خلال مقالنا هذا ·

ان كلمة « **الديمقراطية** » كمـا تستمد من لفظيها الاغريقيين Demos و Kratos تعنى « حـكم الشعب » وبهذا المعنى عرفها « لنكولن » بانها « حكم الشعب بواسطة الشعب من أجل الشعب » ولـكن « سيلى » يعرفها بانها « الحـكم الذى يملك فيه كل فرد نصيبا » أما الفيلسوف الانجليزى « جون لوك » فيرى أن الرضاء هو أساس الحكم الديمقراطى ، فالسلطة الحقيقية فى يد الشعب وقد منحها للحاكم على أساس ان يعمل لصالح هـذا الشعب ووفق رغبـاته · اما الديمقراطية فى الاسلام فتعنى الحكم على أساس من التفاهم والشورى « **وامرهم شورى بينهم** » ·

وكائنا ما كانت التعاريف المختلفة للديمقراطية فهى تعنى النظام السياسى الذى تتركز فيه السلطة فى يد الشعب أو فى يد غالبيته · ولـكن هـدف الديمقراطية الحديثة لم يعد فى مجرد تمكين الشعب من حكم نفسه فحسب ، وانما فى أن يكون هذا الحكم نفسه قائمـا على تحقيق أكبر قسـط من الرفاهية والرخاء للمجموع من أفراد الشعب فى ظل تمتعهم بالحرية الحقيقية التى يكفلها القانون ··· الحرية التى تضىء ولا تحرق مستندة الى القاعدة السليمة « انت حر ما لم تضر » وبهذا أصبحت الديمقراطية مدرسة الشـعوب تربى الأفراد وتصـقل مواهبهم وتنمى ذكاءهم على أساس تكافؤ الفرص للجميع ومن خلال هذا المفهوم كانت الديمقراطية نظاما عريقا أصيلا فى تعاليم الاسلام السمحة اليسيرة منذ قام الرسول عليه السلام داعيا للمحبة والألفة والاخاء والمساواة· قال تعالى : «**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** »وقال عليه السلام: « **لا فضل لعربى على اعجمى ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى** » ·

ولعل أرفع أنواع الديمقراطية واسمى صـورها يتمثل فى النوع المبـاشر منهـا وهو ما يتيح لـكافة أفراد الشعب المشاركة فى الحكم ، وقد شهد العالم القديم هذا النوع من الديمقراطية فى « أثينا » فى العهد الاغريقى ، أما فى العصر الحديث فقد تحقق هذا النوع من الديمقراطية فى بعض ولايات «سويسرا» تلك التى بلغت درجة من التعليم والثقـافة يؤهلها لمشاركة كل أفرادها فى الحكم ·

ويرى معظم المفكرين أن هـذا اللون الديمقراطى اصبح من قبيل الفكر النظرى المجرد الذى لم يعـد له سند من الواقع لتعقد المجتمعات واتساع رقعتها

وزيادة كثافتها السكانية وسيادة مبدأ التخصص وتقسيم العمل بها .

وسواء كانت سلطة الحكم فى يد الشعب او فى يد أغلبيته فهى لا يمكن أن تكون فى يد فرد واحد كما فى النظم الدكتاتورية او الملكية المطلقة او فى يد حكومة الأقلية الارستقراطية من الأشراف والنبلاء أو فى يد « الأوليجاركية » وهى حكومة الأقلية من أصحاب الأموال وكبار التجار لأن هذه الطبقات تنتزع من الديمقراطية أهم معاييرها وهى السلطة الشعبية ..

ومن الأهمية بمكان أن نفصل بين مفهومى الحكم الديمقراطى والدولة الديمقراطية ، فالحكم الديمقراطى يعنى دولة ديمقراطية بالضرورة ، اما الحكومة الديمقراطية فتتسع لأكثر من شكل للحكم وتتسق مع الحكومة الجمهورية أو الملكية أو الأوتوقراطية وكل ما تحققه الديمقراطية أن يصبح المجتمع ككل صاحب السيادة المسيطرة على الأمور بصفة عامة ، وبهذا المضمون يحدد الميثاق الوطنى معنى ديمقراطيتنا العربية فيقول « ان الديمقراطية هى توكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق أهدافه» ولاشك أن هذا التفسير الديمقراطى انما يحمل معنى حرية الشعب فى اختيار ممثليه ونقدهم وأحقيته فى تغييرهم ، وهنا ربط الميثاق الديمقراطية بالحرية فوصفها صراحة بأنها « الحرية السياسية » .

واذا أسلفنا القول بأن نظام الديمقراطية المباشرة أصبح اليوم نوعا من النظم النظرية التى يتعذر ان لم يستحل – تحقيقها فى المعترك الدولى الراهن فان هناك نظامين آخرين من نظم الديمقراطية يسودان الحكم السياسى المعاصر ويتمثلان فى « الديمقراطية النيابية » التى تقوم على أساس انتخاب ممثلين ينتخبهم الشعب ليعبروا عنه ويتحدثوا باسمه فى مناقشة سياسة الدولة ، وعليهم تلقى تبعة المهمة التشريعية .وهناك نظام «الديمقراطية شبه المباشرة» وهى نظام وسط بين الديمقراطية المباشرة والنيابية وبموجبها لا يترك الشعب مقاليده للبرلمان وحده وانما يشترك معه فى المسائل الهامة التى يرى وجوب تصديقه عليها مباشرة كما أن من حقه فى هذا النظام مراقبة البرلمان واقتراح ورفض القوانين عن طريق الاستفتاءات الشعبية ، فالشعب هنا يعتبر سلطة رابعة بجانب السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ..

واذا كانت تلك أهم سمات الديمقراطية الغربية التى تجاوزت دائرة المسرح الغربى فى كل من لندن وباريس وواشنطون لتغطى حدود مسرح دولى أعم وأشمل فان موسكو هى الأخرى تدعى أنها صاحبة الديمقراطية المثلى للقرن العشرين وهكذا اجتمعت كلمات الرؤساء «روزفلت» و «ستالين» و «تشرشل» فى يالتا سنة ١٩٤٥ على « العمل المشترك بواسطة دولهم الثلاث لمقابلة المشاكل السياسية والاقتصادية لأوربا المتحررة وفق المبادىء الديمقراطية » الا أنه سرعان ما أصبحت هذه المبادىء نهبا للتناقض فى التفسيرات والتأويلات ، ومن خلال هذه المعركة الفكرية تطلعت الدول النامية كالجمهورية العربية المتحدة والهند وباكستان الى تفسير للديمقراطية يتلاءم مع ظروفها السياسية والاجتماعية ومع تاريخها ومبادئها الروحية .

ولقد أبرز عالم السياسة البريطانى «**هارولد لاسكى** » الفرق بين الديمقراطية بمفهومها الانجليزى والسوفيتى فرأى أن بريطانيا لا تكون مجتمعا ديمقراطيا ، لأن المجتمع الديمقراطى هو الذى يحقق أقصى ارضاء لرغبات افراده وعليه فلا امتيازات خاصة فى هذا المجتمع من ناحية الثروة أو العقيدة أو المولد أو العنصر ضمانا لتأدية مطالب الشعب بأقل تحيز ممكن، ومن خلال هذا المضمون الذى يعرضه «لاسكى» يرى فى الاتحاد السوفيتى مجتمعا أكثر ديمقراطية من بريطانيا من حيث محاولته ارضاء حاجات المواطنين بصورة أوسع نطاقا مما فى بريطانيا كما أنه لا يضع فى الاعتبار وزنا للامتياز الخاص الذى يستند الى المولد أو الثروة أو العنصر ... وعلى النقيض يرى هارولد لاسكى أن بريطانيا ذات حكومة ديمقراطية بعكس روسيا التى تسيطر عليها « ديكتاتورية البروليتاريا» فالحكومة الديمقراطية فى رأيه هى تلك التى يضع رجال الحكم فيها القوانين شريطة أن يكونوا مختارين من زملائهم المواطنين لهذا الغرض وعلى أن تمارس الحكومة سلطتها دون اجراءات قسرية وفى فترات تتعاقب على نحو معقول ... وبتطبيق هذا المفهوم تملك بريطانيا حكومة أكثر اصالة وعمقا فى ديمقراطيتها من روسيا ..

أما مفهوم الديمقراطية العربية كقالب للاتحاد الاشتراكى العربى فقد أوضح الميثاق طريقها ورسم معالمها وحدد قسماتها وكيف استمدت جذورها من الواقع المصرى والتجربة العالمية واهتدت بهدى الدروس التى خرجت بها من محيط التجربتين ٠٠٠ ولم تقف ديمقراطيتنا عند الشكل التقليدى الغربى بالاكتفاء بالاقتراع العام وسرية الانتخابات والحرية الشخصية فى اختيار الممثلين وإنما أخذت برأى المفكرين الاشتراكيين فى وجوب توافر الشكل والمضمون معا و « المضمون » للديمقراطية هو الحرية الاجتماعية تلك التى يجب أن تكون ضمانا لتكوين «الشكل» ، وهو الحرية السياسية وعلى هذا فالاتحاد الاشتراكى العربى « **اتحاد** » من حيث هو وحدة تنتظم جميع فئات الشعب العاملة للعمل المشترك من أجل التقدم والرخاء و « **اشتراكى** » من حيث أن هدفه تحقيق الاشتراكية كأساس للعمل السياسى وهو « عربى » الملامح والموطن والهدف ٠٠٠ ولعل هذا المضمون الثورى الجديد هو أهم ما يميز ديمقراطيتنا الثورية عن ديمقراطيتنا « اللاثورية » التى اتسمت بالانحراف السافر عن مطالب الشعب والاكتفاء بالشكل الخادع منها دون المضمون الناجع ٠٠٠ وقد أبرز الميثاق أهمية الحرية الاجتماعية لضمان تحقيق الديمقراطية السليمة بقوله : « ان الذى يحتكر رزق الفلاحين والعمال ويسيطر عليه يقدر بالتبعية أن يسيطر عليهم وعلى ارادتهم » ، كما قرر « ان حرية رغيف الخبز ضمان لا بد منه لحرية تذكرة الانتخابات » ٠

كما أوضح الميثاق فى الباب الخامس الصلة الوثيقة بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية بقوله « ان الديمقراطية السياسية لايمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية ، وان المواطن لا تكون له حرية التصويت فى الانتخابات الا اذا توافرت له ضمانات ثلاثة :

أن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره ، وأن تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته » ٠

وهكذا أرجع الميثاق فشل الديمقراطية بين ثورتى سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٥٢ الى فصل المضمون الاقتصادى عن الشكل السياسى ، ولقد مثل الشكل السياسى نفسه وهو النظام الحزبى على صفحة تاريخنا القومى صفحة مليئة بالآثار فكانت غايته الوصول الى كراسى الحكم كائنا ما كانت الوسيلة مما دعا لأن يسلب الاستعمار كل معانى الاستقلال الحقيقية للبلاد ، وكانت الاحزاب مهما تعددت مشاربها واختلفت ألوانها أو تنوعت شعاراتها مظهرا لوجه واحد هو الراسمالية والاقطاع ٠ ولما كانت القاعدة المنطقية تقضى بأن « فاقد الشىء لا يعطيه » كان من غير المعقول أن يمنح حكام ما قبل الثورة للشعب حقه فى الحرية الصحيحة والديمقراطية السليمة والعيش الكريم ، لأنهم لا يؤمنون بهذا الحق الذى يتعارض ومصالحهم الطبقية ٠ ولما كانت الحريات السياسية وحقوق الشعب المنصوص عليها فى صلب دستور سنة ١٩٣٢ ما هى الا «واجهات دستورية » مستوردة وشعارات ظاهرها يسر وتطبيقها يضر ، فقد ألغت الثورة الأحزاب غداة قيامها فى الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ وأصدرت قانون الاصلاح الزراعى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع الاشتراكى فما كان للاشتراكية أن تتحقق لها السيادة فى مجتمع حزبى يعمل على تدعيم الراسمالية بكل ما أوتى من قوة وسلطان ٠٠ وجدت الثورة فى البحث عن النظام الشعبى الذى يحقق الديمقراطية السليمة ويضمن وحدة الأمة ويكفل تحقيق برامج الثورة ويحميها ضد أعدائها الرجعيين فكان « الاتحاد القومى » الذى قام على أساس تجميع أعضاء الأمة فى وحدة متكافلة متساندة تشمل كافة الطبقات أملا فى أن تحل هذه الطبقات مشاكلها حلا سلميا فيما بينها ، ولكنها كانت أمنية طيبة فى التقدير النظرى وتجربة مريرة فى التطبيق العملى اذ أكدت « الحقيقة النفسية » أن « من أخذ » ، ومن « أخذ منه » لا يمكن لهما أن يلتقيا فى صعيد واحد على أساس التعاون الصادق ٠٠٠ وقد كان « تمثيل » ، « الكزبرى » ، ومن على شاكلته فى الاتحاد القومى على « المسرح السورى » دليلا على فشل مبدأ التوفيق بين ذوى المصالح المتناقضة ٠٠٠ ولهذا كان لابد من الاستفادة التامة من هذه التجربة ومنطقها يقول « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فكان «الاتحاد الاشتراكى العربى» منظمة سياسية تنتظم صفوف الشعب العامل فى وحدة جماهيرية ، ولعل أهم ما يميزه عن الأنظمة الديمقراطية الغربية والشرقية وحزبية ما قبل الثورة يتبلور فى النقاط التالية ٠

اولا : حرص الاتحاد الاشتراكى العربى على ان ينقى صفوفه من الفئات الرجعية والانتهازية والراسمالية أعداء الاشتراكية فأصدر قانون العزل السياسى الذى حرم هذه العناصر من الوقوف على مسرح السياسة حتى لا تتكرر المأساة .

ثانيا : يفترض الاتحاد الاشتراكى العربى التقاء صفوفه على الأهداف الكبرى فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع من عناصر الشعب العاملة المنبثقة عن الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والراسمالية الوطنية ، وفى هذا ما يميز الاتحاد الاشتراكى عن النظام الحزبى القائم على أساس الصراع بين الأحزاب للوصول الى الحكم كفاية ، وعليه فالعضوية فى الاتحاد الاشتراكى اساسها « الاتفاق » وليس « الاختلاف » ، مما يقضى على التناقض الطبقى الذى كان ممثلا فى « الاتحاد القومى » ، حاملا لجرثومة فنائه .

ثالثا : كان الاتحاد الاشتراكى صادقا فى تمثيله لفئات الشعب تمثيلا يحقق الديمقراطية بأوسع معانيها ، اذ أصبح يرتكز على نسقين من الوحدات الاساسية : « الوحدة الجغرافية السكنية » التى تنتظم مجموعة من المواطنين فى مناطق سكنية متجاورة ، و « الوحدة الوظيفية » التى تجمع الأفراد بحكم مهنهم ووظائفهم فى مؤسسة أو مصنع أو معهد وتعتبر الوحدتان فى مختلف الأقاليم شرايين للديمقراطية فى سائر أنحاء الجمهورية ، وتتيح كل منهما للمواطنين التعرف على شخصية نوابهم عن كثب مما يعمل على تحقيق الصلة المباشرة بين النائب والناخب وتلك من أهم سمات الديمقراطية السليمة التى غالبا ما تفتقد فى التنظيم الحزبى .

رابعا : أصبح دور الاتحاد الاشتراكى فى المجال السياسى قائما على توجيه أجهزة الحكم ورقابتها ، وقد عبر الميثاق عند هذا بقوله : « ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق أجهزة الدولة التنفيذية » .

وبهذا تتبلور الاتجاهات الشعبية الأصيلة فى مختلف مستوياتها حتى تصعد القمة الهرمية داخل الاتحاد الاشتراكى ، فاذا ما صدرت بها توصيات كانت تعبيرا أكيدا عن « الرأى العام المنظم » .

خامسا : اذا كانت الديمقراطية التقليدية ترى ان فى السماح بممارسة حق الانتخاب دون قيد أو شرط تقريرا كافيا للعدل السياسى والمساواة الاجتماعية الا أن العمل السياسى الحقيقى لا يتم بهذا فحسب ، وانما يتم داخل المجالس النيابية نفسها . ولما كانت هذه المجالس تظل حكرا لفئات وطبقات معينة ذات اوضاع اجتماعية خاصة تقفز بهم الى مقاعد البرلمان كما كان الحال فى مجتمعنا قبل الثورة ، فقد جاء الميثاق واقعيا حين قرر أن التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لا بد أن تمثل بعدالة حق القوى المكونة للأغلبية .

ولقد كانت الوسيلة التى اختارها الميثاق لتحقيق هذه النسبة العادلة للأغلبية فى الاتحاد الاشتراكى كما فى المجالس الأخرى هى « أن يضمن الدستور الجديد للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بما فيها المجلس النيابى باعتبارهم أغلبية الشعب كما أنها الأغلبية التى طال حرمانها من حقها الأساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه » .

وهناك كلمة اخيرة لابد أن تقال فى هذا المجال احقاقا للحق وهى أن الاتحاد الاشتراكى اذا كان يقوم فى كافة تنظيماته على أساس الشورى وتبادل الرأى فذلك هو لب الديمقراطية الاسلامية حيث أمر الله رسوله الكريم بقوله : « وشاورهم فى الأمر » وفى الشورى تأكيد لمعنى المساواة والاخاء والمحبة والتعاون : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » ، « وتعاونوا على البر والتقوى » ويؤكد الحديث الشريف ان المؤمنين فى تعاطفهم وتوادهم وتراحمهم كالجسد الواحد وحين يتحرك الجسد فانما يتحرك ككتلة واحدة تعمل لغرض واحد بوسيلة واحدة ، وبهذا يسعى الاتحاد الاشتراكى وقد انتظم فئات الشعب العاملة على قدم المساواة فى الحقوق والواجبات من أجل البناء وتحقيق الرفاهية لشعب ناهض وثاب .

محمد زكى اسماعيل

أعلام منسيون

خيري سعيد

بقلم أنور الجندى

مات « **خيرى سعيد** » منذ عامين دون أن يتنبه لموته أحد ، أو يكتب عنه كلمة ، وكان قد اعتزل الحياة الادبية منذ أوائل الحرب العالمية الثانية تقريبا فما ظهر له بعد شيء في صحيفة او كتاب ، وآخر العهد به مقالات كان يحررها في جريدة الوادى عام ١٩٣٥ ثم جاء انصرافه عن الكتابة فجاة وانتقاله الى الاسكندرية حيث كان يعمل موظفا باحدى المصالح الحكومية ، معتزلا الحياة الفكرية على نحو حال به حتى دون الكتابة الى من بعثوا يستفسرون منه عن مطالع حياته الادبية .

وقد بدأت هذه المطالع خلال ثورة ١٩١٩ حين كان طالبا بمدرسة الطب في السنة النهائية مشتركا في الثورة يكتب المنشورات ويطبعها في الخفاء، وهو صاحب المنشور الذى تحدث عن أول فتاة مصرية استشهدت في الثورة برصاص الانجليز : «شفيقه» التى خرجت في ميدان القلعة تحمل العلم وتهتف بالحرية ..

ثم لم يلبث « **خيرى سعيد** » بعد عقد الهدنة ان شارك في انشاء ما أطلق عليه اذ ذاك « مدرسة الآداب الجديدة » حيث كانت تجتمع في حديقة محل لبتون وتضم معه ابراهيم المصرى ويحيى حقى ، ومحمد تيمور ، وعباس علام ، وزكى طليمات ، وحسين فوزى وطاهر لاشين وحسن محمود ومحمود تيمور .

وهى المجموعة التى أصدرت من بعد مجلة الفجر، وقد ظهر العدد الاول منها في اغسطس ١٩٣٤ .

وكان خيرى سعيد هو حجر الرحى فى هذه الجماعة وقطبها النابه الذى ترك كلية الطب واكتفى بالعمل في ميدان الادب . وقد أشار خيرى سعيد فى بعض كتاباته الى أن « ابراهيم حمدى » هو الذى وضع الحجر الأول لهذه المدرسة « ليس بالتعليم ولكن بجمع نفر صالح حوله ليتعاون هذا النفر على تحرير ذهنه واطلاق طبيعته وعرفان حقيقة مواهبه وادراك كنه قواه ومقدوره» ولم يعرف كثيرا عن الاديب المجهول !

وقد صور « **خيرى سعيد** » اتجاه المدرسة الحديثة عام ١٩٢٢ فقال : ان مدرسة الآداب والتفكير الجديدة قد ابتدأت فعلا عملية الهدم والتحطيم والتدمير العظيمة المريعة فى شعرها وفى كتاباتها ، وهى دائبة تتمم ما شرعت فيه بالرغم من قلة اعضائها وتفرقهم فى طول البلاد وعرضها ، وقلة ابواقهم وجرائدهم « اننا قوم مدفوعون باختلاجات قوية وثورات باطنية للخروج على القديم الذى يظن البعض انه يحطمنا ويهشمنا للاعتبارات التى قدمتها ، غير اننا مع ذلك تغلبنا وها هى عملية الهدم تطرد والثغرة في أسوار القديم تتسع وتنفرج » وعنده ان هذه المدرسة قد ركزت على أعمال العبقريين فى الغرب وفى الشرق وفى جميع العصور فى كل مايجول بالعقل البشرى والخيال البشرى والاحساس البشرى، وأشار الى أن أفراد هذه المدرسة معدودون يعرفون بعضهم . وكثيرا ما يتشاحنون . ولكنها

معاداة أهل الحرفة الواحدة لخير الصناعة » .

وقال خيرى سعيد : « لاغاية لنا الا هدم القديم، وان الهدم ضرورى قبل الشروع فى البناء ، وان غايتنا اجتلاب النار المقدسة واضرامها فى القلوب والرءوس» واشار الى أنه نتيجة لتصديهم الى تصحيح اغلاط الجيل فقد صدف عنهم الناس وعابوا آثارهم.

وقال « اننا لم نتتلمذ على أحد ممن سبقونا أو عاصرونا ، وانما تتلمذنا على أساتذة العالم من قديم الزمان وحديثه ، ونهلنا من امهات الطرائف الادبية الفنية من فجر التاريخ حتى القرن العشرين ، واستقر فى وعينا أن الامم التى تعيش على ما يلقى اليها من فتات المائدة الخالدة ـ مائدة المعرفة ـ تعيش امة فى ركب السادة المبدعين ، وتحيا حياة غير كريمة لا تمتاز كثيرا عن حياة السوائم ، فكرهنا لأمتنا هذا الوضع المزرى ، ورحنا نناضل وندرس ونتعمق ونفحص سنوات ، بدأت ونحن طلبة فى المدارس العالية حتى استقام لنا النهج ، وصحت عزيمتنا على العمل يغذيها ايماننا بقدرة على الخلق والابتكار وبأن الأصل فى هذا الشعب أنه سيد عظيم ، جبل على بناء الشوامخ وصنع المعجزات » .

***

وعندما اصدر مجلة الفجر عام ١٩٣٤ أعلن هدف المجلة :

- **أن يكون لنا ادب مصرى خاص بنا .**
- **رفع مستوى الصحافة الادبية .**
- **الترفع عن استغلال حياء الادباء فلانستمرئ عصير قرائحهم ومجهود اذهانهم بلا مقابل .**

وقد أشار خيرى سعيد من بعد الى أن هذه المجلة لم تجد رواجا يمكنها من الاستمرار « حيث كانت الصحف منصرفة الى شئون السياسة » وان كانت « قد طورت فن القصة ونشرت اشكالا ادبية لم تكن معروفة فى أدبنا العربى ، وهى : الصورة الوصفية والرواية القصيرة، والمقالة الادبية ، والنقد الفنى».

وقال انه لم يفكر قط مع اخوانه فى أن يكتبوا قصصا محلية ، بل كانوا انسانيين يؤلفون للعالم كله ، ويعالجون عواطف واحساسات وافكارا وحوادث لا يحدها مكان أو زمان ولا تعرف جنسا أو مذهبا.

وهو يرى : أن المدرسة الحديثة قد أضافت فى الادب العربى المعاصر عملا جديدا هو « فن القصة » وقد قدم هو بالذات محاولة فى القصص التاريخى هى قصة (الدسائس والدماء) عام ١٩٣٥ عن حياة على بك الكبير ، وعنده أن القصة قد بلغت على يد : محمود طاهر لاشين ومحمود تيمور مستوى فنيا رفيعا .

***

وفى الفترة ما بين ١٩١٩ الى ١٩٣٩ تقريبا قدم خيرى سعيد أعمالا كثيرة موزعة فى الصحف والمجلات وقد نسبت اليه قصة «عبث الشباب» التى لم أجدها فى دار الكتب ، وكذلك كتاب (فن الشعر) الذى جعل مقدمته ترجمة لفصل من كتاب تولستوى الموسوم باسم (ما هو الفن) وله عديد من الابحاث فى مجلتى الجديد ١٩٢٨ والسياسة الاسبوعية حتى عام ١٩٣٢ والهلال حتى عام ١٩٣٤ ، كما حرر فى المجلة الطبية والفجر والسفور مع محمد تيمور ، والمنبر مع جورج طنوس وجريدة الوادى عام ١٩٣٥.

يقول « كنت أعددت نفسى لحياة حرة، واصطنعت الطب مهنة ، ثم رأيت أن أتخذ الادب هوية ، غير أن حادثا عائليا أوصد فى وجهى باب الرزق من التطبيب ، فالتجأت الى الصحافة ، لا على اعتبار أنها أدب ، بل لصلتها الوثيقة بالادب وبقية فروع المعرفة الانسانية » .

وقد ظلت آراؤه مستحدثة وطريفة وجريئة فى نفس الوقت ، تقوم على طريقة التحليل وان كان يعلن دائما أنه ضعيف الثقة بالمذاهب الفنية، ويكره أن يتبع القصصى مذهبا معينا ، وعنده ان كل المؤلفين الذين أخذوا أنفسهم بمذهب خاص تخلفوا عن الحياة .

وقد أولى طريقة التحليل النفسى أهمية كبرى وحاول تطبيق نظريته فى مجال دراسة الادب العربى ، وجمع ملاحظات اعتقد أنها تساعد على فتح باب جديد لفهم الشخصيات الادبية والفنية ، غير أنه أحس أن هناك أسرارا ومعضلات يقف الباحث أمامها حائرا عاجزا ، وعنده أن العقل الانسانى الفردى ينمو متدرجا فى مراحل معينة ، وخلال هذا التدرج تعتوره تغييرات متعددة الاسباب عظيمة النتائج فى تكوين الشخصية والعقل، وليس الادب

والشعر وبقية الفنون الا تعبيرا عن الشخصية ، شخصية الفنان أو الكاتب والشاعر .

ثم أولى اهتمامه بمختلف النظريات الجديدة ، ففى مجال التاريخ تبرز نظرية فلا يلبث أن يعرضها خيرى سعيد فيقول: «ان الطريقة المثلى لكتابة التاريخ هى أن ننظر الى الموضوع من جميع نواحيه، وندرسه من جهاته المتعددة ، مع المحافظة على التوازن والاتساق ، وتجنب العسف واطراح الهوى والتعصب ، على شرط أن نبرز الحوادث ونحيى الاشخاص بين السطور» وعنده انه لكى ترسم صورة صادقة لأى عصر طواه الماضى فى سجلاته لا غناء عن استخدام الطريقة العلمية فى جمع حقائق التاريخ وتمحيصها ، ثم بعد ذلك يستوحى الفن الادبى فى ابراز الصورة وتجميلها بالظلال والالوان ونفخ الحياة فيها « ذلك لأن الماضى لا يمكن أن يجلى بالاحصائيات والارقام والحقائق الميتة ، لقد كان الماضى نابضا بالحياة زاخرا بالحركة والنشاط ومن حقه علينا أن نعيده الى الحياة كما كان .. » ، ولعله اصطنع هذا المذهب فى قصته «الدسائس والدماء» .

ولا يلبث ايضا أن يصور رأى العلم الحديث فى الاحلام والرؤى ، مقارنا ذلك برأى الاقدمين كابن سيرين وعبد الغنى النابلسى ، ثم يتناول الشخصية الانسانية وكيف تدرس وهكذا ..

ويكشف عن رأيه فى نقد الاعمال الفنية فهو قليل الثقة بالنقاد ، عظيم الثقة بالاعمال الفنية نفسها ، ويقول: « افضل أن اجتلى الحسن فى الصور والتماثيل بعينى راسى ، واكره أن يذهب الناقد الى المتحف ويجىء يحدثنى عن بدائعه ، ان له ذوقا غير ذوقى ، وهل نافعى أن يستطيب مالا يوافق مزاجى ، انه لن يستطيع مخلوق أن يجعل منى شخصا جديدا مطبوعا على غراره ، ولى تجاربى فى الحياة وله تجاربه، ولى شعور غير شعوره، واحساس يخالف احساسه ، وله فهم وخيال ولى فهم وخيال» ثم يقول انه لخير أن نقرأ رواية لسوفكل أو موليير أو شكسبير من ان نطالع ألف بحث لألف ناقد من الافذاذ » .

وقد يذهب خيرى سعيد الى الاغراب احيانا حين يدعو مصر الى بيع آثارها عام ١٩٣٢ والانتفاع بالملايين التى تحصل عليها فى بناء الوطن ، وعنده أن ذلك سيعود على مصر بخير من الآثار ، وذلك هو الشهرة فان هذه الآثار ستنتشر فى جميع انحاء العالم لتضاعف صيت مصر « ويبقى لنا مجدنا المشهود به » ومن آرائه أن الجندية الاجبارية خير من التعليم الالزامى ، فان الجندية الاجبارية فيها احياء للنزعات المناضلة وتنمية « الغرائز الكفاحية » .

***

وجملة القول أن « **خيرى سعيد** » كان حريصا على أن ينقل الى قومه كل جديد من افكار الغرب مؤمنا بأن هذا هو السبيل الى النهضة ، وقد سارت المدرسة الحديثة فى طريق طويل ، وحققت بعض النتائج ، ومن أهمها بروز فن القصة الحديث . غير ان هذه المدرسة لم تستطع أن تزاحم مدرسة الرواد بمنكبيها، فقد كانت تلك المدرسة بعد الحرب الاولى تسيطر سيطرة فعلية على الصحف السياسية وتبرز فى مجال الكتابة الوطنية والادبية، حيث كان طه حسين وهيكل والعقاد والمازنى ومحمود عزمى لا تزال لهم صدارة عريضة ، لم تمكن رواد المدرسة الحديثة من التبريز ، بل ان المدرسة الحديثة عندما اصدرت مجلتها الفجر استكتبت هؤلاء الكتاب وقدمتهم فنشرت دعاء الكروان لطه حسين وعديدا من المقالات للمازنى وغيره . ويمكن القول بان « خيرى سعيد » وزملاءه كانوا امتدادا لمدرسة الرواد ، وكان اتجاههم الأغلب الى كتابة القصة ، وربما كانوا أكثر جراة واندفاعا ولكنهم لم يتمكنوا من التبريز طويلا كمدرسة قوية ذات طابع واضح أو نفوذ واسع ، وآية ذلك أن « خيرى سعيد » لم يلبث أن ترك الميدان واعتزل فى الوقت الذى مضى العقاد وهيكل وطه حسين يشقون الطريق الى فنون جديدة من الكتابة بدأوها فى الاربعينات كالعبقريات والفتنة الكبرى وغيرها .

« **انور الجندى** »

الحواس الخمس

• للدكتور احمد خليل •

ان المعلومات التى تصل كلا منا عما يحيط به من حوله تأتيه عن طريق ما نسميه بالحواس الخمس،ولكن الواقع اننا نمتلك ما يقرب من الاربع والعشرين حاسة ففيأفواهنا توجد أربع آليات حسية منفصلة لالتقاط انواع الطعم المختلفة ، وفى أنوفنا عدد لم يعرف بعد للشم ، كذلك يوجد فى عيوننا مالايقل عن اربع آليات للنظر ، غير أن كثيرا من الاحاسيس التى ترسل من هذه الحواس عبر طريق من الاعصاب الى المخ مرتبطة به •

وزيادة عدد الآليات الميسورة وحاسيتهافىالكائنات الحية للحصول على البيانات الخاصة بما يحيط بها ، أثناء نشوء الكائنات وتطورها ، زادت الحيوانات كثيرا فى قدرتها على الادراك •

ويمكن للبيولوجيين الآن تحديد المرحلة التطورية التى بدأت فيها كل حاسة فى الظهور والتميز عما سبقها • وبعض الحيوانات البحرية لها أجهزة عصبية بدائية تمكنها من الاحساس والاستجابة للحس ، وللأسماك الهلامية بقع خاصة اكثر حساسية للضوء من الخلايا المجاورة لها •

أما الحشرات والعناكب فلها تجمعات ضخمة من العيون ، كل منها ميكروسكوب بدائى يعطى صاحبه ذا النظر الضعيف أدراكا مهزوزا للاشياء القريبة منه ، ولكثير من الحيوانات المعقدة حواس معينة تتمثل فى الانسان بدرجة ضئيلة او لا تتمثل اطلاقا •

وعلى ذلك نجد أن الحشرات التى تطير عاده ما تساعدها فى طيرانها بارومترات (اجهزة لقياس الضغط الجوى) جافة دقيقه صنعت من خلايا حيه • وتحتوى عيون النحل على منقله (لقياس الزوايا) مبنية فيها بطريقة تمكن النحلة من الطيران فى اتجاه معين بزاوية خاصة مع قرص الشمس كما تحتوى أيضا على بوصلة من نوع خاص تستعين بها فى التعرف على المكان الذى ينبغى أن توجد فيه الشمس اذا حجبت السحب وجهها دون ضوئها ، ومما يثير الدهشة أننا اذا تتبعنا نشوء هذه الآليات الحسيه لوجدنا أن هذه الآليات لم تمنح لهذه الحيوانات هبة خالصة وانما نشأت تدريجيا وببطء شديد وتعرضت لاختبارات طويلة مدة اجيال لا تحصى قبل أن تستقر على شكلها الحالى •

وقبل أن تبدأ الحياة على البسيطة بزمن طويل تعلمت بعض الخلايا الطافية كيف تستجيب لبعض المؤثرات فاصبحت تنجذب نحو بعض الكيماوياتفى بيئتها وتتنافر بعيدا عن غيرها •

وتطورت هذه الحساسية تطورا بطيئا على مر الاجيال وتحولت الى حاستين : كيميائية معقدة لاتزال تؤثر فى عيوننا حتى الآن فتسيل منها الدموع اذا تعرضت للدخان او لأبخرة خاصة ، وحاسة لمس آلية للدلالة على ملامسة كتل من المادة • بعد ذلك أصبحت حاسة اللمس انتخابية ، وبدأ الكائن حساسه بما حوله بشكل بدائى كان يميز بين الحرارة

والبرودة أو بين الجفاف والرطوبة أو بين الصلابة والليونة، وبعد ان مرت الحاسة باطوار بطيئة ادخلت عليها تحسينات منحتها ادراكا أكثر حدة للشعور بالضغط الحرارة والبرودة وقرصات الجوع والعطش وفي النهاية للصوت والضوء ٠

وفي نفس هذا الوقت كانت الحساسية الكيميائية تتسع متميزة الى ذوق وشم ، وهما لايزالان مرتبطين بعضهما ارتباطا وثيقا في الانسان ٠

ورغم أن حواسنا المتعددة تبدو لنا مختلفة بعضها عن بعض فان الاحساس بالنظر والسمع واللمس والذوق والشم تنتج كلها في المخ من سيالات عصبية متشابهة ، فالموجات الكهربائية القصيرة المتتابعة التي تنقلها الالياف العصبية حينما نشم وردة ، مثلا ، تشبه نفس الموجات التي تنبعث حين نراها وانما يتوقف الامر على المخ وأى أجزائه سيستقبل الارشادات الواردة ٠

وكل آلية حسية في الانسان لها مستقبل خاص بها على سطح الجسم ، ويتمثل هذا المستقبل بخليه او مجموعة من الخلايا ذات حساسية خاصة بنوع معين من المادة او الطاقة٠ وتتصل كل خلية أو مجموعة من الخلايا الحساسة بليفة من الألياف العصبية تتصل بمجموعة خاصة من المراكز العصبية في المخ فحيثما تتنبه الخلية الحساسة ينطلق منها سيال عصبي ينتقل الى خلية أخرى فأخرى حتى يصل الى مجموعة خاصة من خلايا المخ حيث يقرع ناقوس الادراك للمؤثر الذي أثار تنبيه الخلية الحساسة ٠

ومما هو جدير بالذكر أن الموجات الضوئية ، مثلا ، لاتنبه الخلايا الخاصة بالتذوق في اللسان ولا نهايات الاعصاب الموجودة فى طبلة الاذن ، ولكنها فقط تنبه خلايا الشبكية في العين٠ ولو حدث لسبب ما أن انتقلت السيالات خطأ عبر اعصاب غير المخصصة لها ووصلت الى الجزء من المخ الخاص بالشم مثلا ، فان الضوء في هذه الحالة يثير احساسا بالرائحة ٠

حاسة النظر :

يستقبل البشر معظم معلوماتهم الخاصة بالدنيا المحيطة بهم عن طريق حاسة النظر ولذلك نجد أن خلايا المخ المخصصة لهذه الحاسة تزيد كثيرا عنها في الحواس الاخرى ، ومما لاشك فيه أن معظم الافكار والاحلام البشرية تتعلق بأشياء سبقت للانسان رؤيتها او تمكن رؤيتها على الاقل ٠

والعين أكثر الاعضاء البشرية دقة في تكوينها اذ أن الله خلق العين البشرية من مقدار ملعقة من مادة هلامية تشبه في تركيبها الاساسي آلات التصوير التليفزيوني ولكنها تفوقها كثيرا في دقتها ٠ فالعين مزودة بستائر غالقة آلية هي الجفون وحاجز (ديافراجم) ينظم نفسه بنفسه هو انسان العين كما أنها تحتوى على عدسة مستديرة محدبة يتغير تحدبها بسهولة كما يمكنها ان تجمع الصور بوضوح شديد على شاشة عرض حية هي الشبكية ، ويوجد في شاشة العرض هذه أكثر من مليون من الخلايا الضوئية التي تحول الضوء الذي تمتصه الى سيالات عصبية كهرو كيميائية ٠

ويوجد في عين الانسان ثلاثة مرشحات للضوء للمساعدة في تمييز الاضواء ، ولو ان بعض الطيور والزواحف لها أربعة مرشحات لا ثلاثة ، وهذا مما يجعلها أكثر قدرة منا على تمييز الالوان ٠ كذلك فان كثيرا من الحيوانات تمكنها الرؤية الى حد ما بالاشعه فوق البنفسجية مستخدمة أمواجا اقصر قليلا مما يمكن للعين البشرية الاحساس به ٠

حاسة اللمس :

على الرغم من اننا اعتدنا الاحساس، عن طريق سطح الجسم كله ، ببعض الاحاسيس مثل الضغط والالم والحرارة والبرودة الا أننا قد يصيبنا الذهول اذا نحن تصورنا أننا كان من الممكن أن نتذوق أو نشم بارجلنا مثلا ، ولكن كثيرا من الاسماك تفعل ذلك ٠ فاسماك القرش لها خلايا حساسة منتشرة على الجسم كله وتؤدى بواسطتها وظيفة وسطا بين الذوق والشم٠ اننا نتذوق بالفم وحده ونشم بالانف فقط لمجرد ان الخلايا الحساسة لكل من الحاستين قد تركزت في عضو خاص مستقل ٠

وليست كل احاسيسنا بهذه الدرجة من التركيز فتوجد حوالى ٢٠٠ر٠٠٠ خلية ترمومترية حية مبعثرة هنا وهناك على اجسامنا ومعها حوالى نصف مليون خلية حساسة للضغط ٠ كذلك يوجد في لحم اجسادنا ، وعليه ، ثلاثة أو أربعة ملايين خلية وظيفتها اعطاء الاشارات التي يترجمها مخنا على انها ألم ٠

حاسة الذوق :

ويبدو أن الانسان عنده أربعة أنواع من خلايا التذوق تحس بما نسميه حلوا ومرا ومالحا وحمضيا،

ويستجيب كل نوع من هذه الخلايا لنوع معين من الجزيئات الذائبة ، وتتكون النكهة الخاصة بشىء ما من مخلوط معين بنسب خاصة من هذه الاحاسيس الاربعــة · اما الاحســاس اللذيذ الذى نحس به عند تناولنا طعاما شهيا فهو خليط من الاحاسيس الاربعة مضافا اليه احساس بالرائحة واحســـاس بتركيب نسيج الطعام (اى احساس باللمس) ·

وعندما يتقدم الانسان فى العمر فان « حلمـــات التذوق » عنده تصبح اكثر حصرا (اى انها تصبح محصورة) وتركيزا ، كما ان توزيع أنواعها الاربعة يتغير كذلك·ففى بداية العمرتكون الحلمات الحساسة للطعم الحلو منتشرة على الشدقين من الداخل،ولذلك فان الاطفال يحبون الحلوى كثيرا·وحينما يكبرالطفل يختفى كثير من هــذه الحلمـــات ولذلك نجد ان البالغين تجذبهم الاطعمة الغريبة كالجبن والنبيــذ مثلا ·

حاسة الشم :

وحاسة الشم قريبة الصلة بحاسة التذوق ،وهى تعمل عن طريق خلايا مستقبلة تنبهها انواع كثيرةمن الجزيئات التى تصلها طائرة مع الهواء · وحاســة الشم أرقى ما تكون عند الحشرات ، وتكون اعضــاء الشم فيها محمولة على قرون الاستشعار · وبعض هذه الحشرات يمكنها التقاط الرائحة من اجسام على بعد اميال · ويعتقد العلماء أن الرائحــة قد تكون وسيلة هامة لتعرف الذكر على انثاه · ففى الفراشة الانثى توجد غدة خاصة تفرز مادة تجذب اليهـــا الذكور ، بل اكثر من هذا ، وجد ان جزءا من هذه الغدة اذا استخرج من الانثى ووضع على قطعة من ورق النشاف ، فان الذكور تنجذب الىورقة النشاف من بعد قد يصل الى عشرة اميال ! · وقد اصبحت حاسة الشم أقل أهمية للانسان منها للحيـــوانات الاخرى كما ان المساحة التى تغطيها خـــلايا الشم عندنا قد اختزلتحتى اصبحت تغطىمساحة بوصتين مربعتين فقط من أنوفنا ·

وللكلاب جهاز شم شديد التعقيد كما ان نسبة كبيرة من سطح المخ تكون مخصصة لحاسة الشم · ويمكن للانسان أن يميز بضــعة آلاف من الروائح المختلفة ، غير ان هذا لايتطلب سوى بضـــعة انواع قليلة من الخلايا المستقبلة الحساسة للشم ، يحتمل أن تكون أربعة ، تعمل متعاونة بدرجات متفاوتة ·

وكما هو الحال فى حاسة الذوق فان النـــاس يختلفون كثيرا فى حساسيتهم للشم · وخلايا الشم عندنا سهلة التشبع بالرائحة فبعد ان يستنشق المرء دفعات قليلة منها ، نجد أن حاسته لا تستجيب بدقة بعد ذلك مباشرة سواء أكانت الرائحة صادرة عن مجموعة من ازهار البنفسج الجميل أو صادرة عنروث محترق · اما جمال الرائحة او قبحها فيعود بالدرجة الاولى الى الغريزة او الى ما تعلمناه عن السابقين · وقد تعلم اسلافنا ان يصفوا الرائحة بالكراهة اذا كانت صادرة عن مواد ضارة بالجسم ·

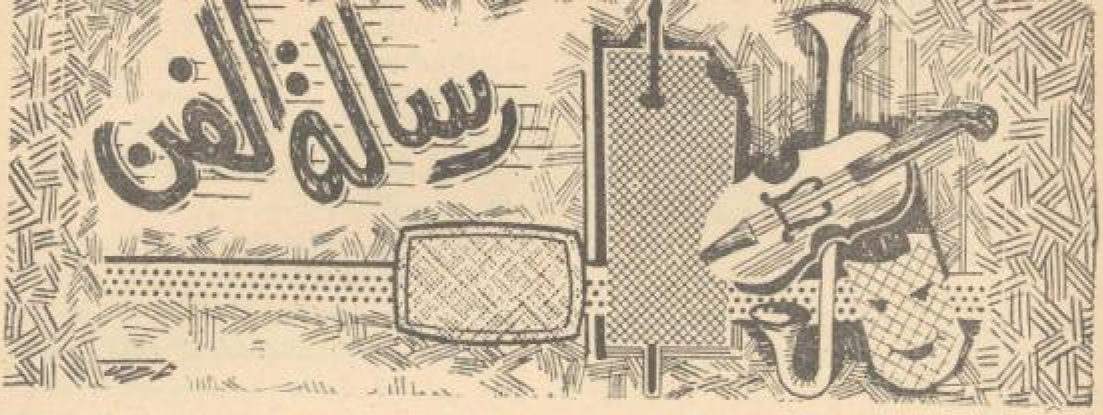
حاسة السمع :

لقد كانت حاسة السمع أولى الحواس التى أوجدت عند الكائنات الحية أحساسابوجود الطاقة لا المادة · والصــوت ينتقل فى الهواء بسرعة ٧٦٠ ميــلا فى الســاعة اى جزء من المليــون من سرعة الضــوء · والموجات الصوتية طويلة ضخمة اذا قورنت بموجات الضوء · والموجات الهوائية التى تتذبذب مابين ١٦ و ٢٠٫٠٠٠ مرة فى الثــانية يمكنها تحريك طبلة الأذن مرسلة ذبذباتها الى الأذن الداخلية حيث يتم تصنيفها ، طبقا لحدتها ، بواسطة نسيج يحتوى على آلاف النهايات العصبية ·

وأى عصب تنبهه الموجات التى يكون حساسا لها يرسل سيالات الى المخ · ويتوقف مقدار ارتفاع الصــوت على عدد الالياف العصــبية التى تنبهها التموجات · وهناك أفراد يعانون من صخب فى الراس يعتقد أنه صادر عن تحرك جزئيات فى الدم حركات عشوائية تجعلها تصــطدم بنهـــايات الأعصاب ·

وربما كان اعتقادنا أن الكلاب وغيرها من الحيوانات البرية ذوات الأربع حادة السمع راجعا الى انها أقدر منا على سماع النغمات العالية · وهناك حيوانات كثيرة ، ومنها البطور ، لها القدرة على سماع ذبذبات أعلى كثيرا فى طبقتهــا مما يمكن للأذن البشرية تمييزه · وتحتوى الصرخات التى ترسلها الخفافيش على ذبذبات يزيد ترددها عن ٥٠٫٠٠٠ فى الثانية ·

« دكتور احمد خليل »



موسيقى سيد درويش

بقلم عبد الفتاح البارودى

كل الهيئات الموسيقية بلا استثناء مسئولة عن التهاون فى الاحتفال بذكرى سيد درويش .. كان الاسبوع الماضى هو موعد هذه الذكرى ، فماذا فعلته المعاهد الموسيقية ، أو الموسيقيون ، أو البرامج الموسيقية فى الاذاعة والتليفزيون ؟!

حتى أصدقاؤه أهملوه .. ان جمعية أصدقاء سيد درويش - وأنا عضو فيها - لم تتحرك !

حتى الاسكندرية التى ولد فيها لم تفعل شيئا .. ان أهالى حى كوم الدكة الذين كنا نفخر دائما بأنهم يقيمون له احتفالا شعبيا فى كل ذكرى ، أصيبوا بالسهو فى هذه الذكرى .. ودار الثقافة بالانفوشى كان مقررا أن تحتفل به ، ولكن مرت ذكراه يوم ١٥ سبتمبر بلا احتفال .

كان المفروض أن تتحرك هذه الهيئات - وكل الهيئات الموسيقية .. ولكنها تجاهلت ذكرى هذا الموسيقار الذى يعتبر أعظم موسيقار فى تاريخنا الفنى .

وهذه ظاهرة مخجلة .. لقد كان سيد درويش مهملا فى الماضى لاسباب معروفة .. ان الذين سيطروا بعده على الحقل الموسيقى كان من صالحهم أن يجهل الناس أن هذا الموسيقار نقل الموسيقى من قصور « **الباشوات والأغوات** » الى الشارع ، والى الناس ، وتطور بها من الزخرفة ، والدندنة ، والتسلية الى التعبير . وقفز بها من أداة للتطريب والتخدير الى أداة لليقظة والوعى .. كان من صالحهم أن تختفى موسيقى سيد درويش ، حتى لا يقارن الناس بينها وبين موسيقاهم ، فان المقارنة ستثبت أن هناك فوارق ضخمة بين موسيقاه المتوهجة وألحانهم المتميعة ، وستثبت أنهم بدلا من أن يواصلوا الرسالة التى بدأها ، ساروا فى دروب متخلفة ، وبدلا من أن يستكملوا دعائم المسرح الغنائى حطموا المسرح نفسه وانحدروا مرة أخرى الى الاغنية الفردية الذليلة .

انهم للآن يحاولون اخفاء موسيقاه أو تشويه قيمتها الفنية ، واذا كانوا قد أفلحوا فى ذلك فى الماضى فمن المستحيل أن يفلحوا الآن بعد أن استيقظنا وتغير تفكيرنا وتغيرت مقاييسنا الفنية .. ولهذا فمن واجبنا أن ندرك حقيقة فن سيد درويش ، ليس لمجرد تكريمه فقط .. انه يستحق كل تكريم كفنان شعبى ، وفنان استلهم الوجدان الشعبى فى موسيقاه ، وفنان قام بتطوير الموسيقى تطويرا حقيقيا ، ولكن ليس تكريمه هو الهدف الوحيد ، فنحن أيضا يجب أن نعرف المرحلة التى وصل اليها لنبدأ منها فى مواصلة التطوير ، ونطهر الحقل الموسيقى من الانتكاسات التى حدثت فيه بعد سيد درويش .

ان من الغريب جدا أن أعداء سيد درويش حاولوا

تشويه فنه بأساليب لولبية ٠٠ زعموا مثلا أنه اذا كان قد جدد موسيقانا فانهم جددوا أيضا ، بحجة ان الدنيا تتقدم والفن يتقدم وعقارب الساعة لاتعود الى الوراء٠٠ كلام يبدو منطقيا ولكن اذا تعمقناه اكتشفنا تفاهته ٠٠ لماذا ؟ لأننا اذا استخدمنا المنطق العلمى وجدنا أن خط التطور الموسيقى يسير فى اتجاهين رئيسيين : فالموسيقى البحتة ، أى الموسيقى التى تعزف على الآلات فقط ولا تدخل فيها الاصوات البشرية ، تتطور من العزف البدائى والمقطوعات البسيطة مثل السماعيات والبشارف الى التشكيلات الفنية المركبة ، الى التشكيلات الفنية المتكاملة ، ونهايتها « **السيمفونية** » والاتجاه الثانى خاص بالاعمال الغنائية ، أى الموسيقى التى تستخدم معها أصوات بشرية ، وهذا الاتجاه يبدأ بالاغانى الفردية ويتطور الى تشكيلات فنية مركبة ومتكاملة ، ونهايتها الاوبريت ثم الاوبرا ٠٠ وسيد درويش سار فى الاتجاه الثانى ، ووصل الى مرحلة الالحان المسرحية، فماذا فعله الذين جاءوا بعده ؟ حطموا المسرح الغنائى وعادوا الى « الاغنية » وإذن فمن الخطأ الزعم بأنهم أحدثوا أى تجديد ، وحتى اذا كانت قد حدثت تجديدات فاقصى ما توصف به انها تجديدات شكلية ولا تسير فى خط التطور العلمى ٠

واذن فلكى نصل الى حقيقة التطورات التى حدثت فى موسيقانا يجب أن نستخدم المنطق العلمى ، وعندئذ سندرك حقيقة فن سيد درويش ، وسيفيدنا ذلك فى تقديره ، وفى معرفة الطريق الحقيقى الى تطوير موسيقانا ٠٠ اننا نظلمه ونظلم موسيقانا بعدم تقييمه تقييما علميا ٠٠ فكثيرون مثلا ـ ولو بحسن نية ـ يتوهمون أن ميزته كلها هى أنه غنى للناس وغنى الأغانى التى تعبر عن الناس ، مثل ألحان « **المراكبية والتحفجية والصنايعية ٠٠ الخ ٠٠** » ومثل ألحانه التى يسخر فيها من أولاد الذوات ٠ ومثل سخريته من الظلم الاجتماعى الذى كان سائدا فى عصره حينما غنى مثلا **صبح الصباح فتاح يا عليم ، والجيب ما فيهش ولا مليم ، من فى اليومين دول شاف تلطيم ، زى الصنايعية المظاليم** ، ومثل سخريته من العاطلين بالوراثة حينما غنى مثلا (والبيه محمص قاعد بواصل ، يشرب فى بيره ويا منيره ٠ واحنا فى حيرة) ٠٠ الخ ٠

ويكفى أنه بذلك نقل أغانينا من « **أمان يا للى** » الى أغان مرتبطة بالحياة ارتباطا وثيقا ، ولكن الأهم أنه فهم أهمية هذا الارتباط ٠٠ وهذه نقطة دقيقة ٠٠ فمن السهل أن تعبر عن هذه المعانى فى مقالات مثلا ولكن ليس من السهل تصور أن الاغنية من وظيفتها التعبير عن هذه المعانى ، وخاصة فى عصر كانت وظيفة الاغانى فيه هى الطرب ٠٠ هذا هو التجديد الحقيقى ٠٠ تجديد فى التفكير الموسيقى ٠

مسالة اخرى : بعضهم يتوهم أنه اقتبس ألحانا من غيره ٠٠ هؤلاء يحصرون أنفسهم فى زاوية لا علاقة لها بالتطور الموسيقى ٠٠ وأنا افترض ـ جدلا ـ أنهم على صواب ، ولكنهم أولا لايعرفون أن الاغانى وقتئذ كان يتداولها أكثر من ملحن ، فواحد يلحن الاغنية من مقام « البياتى » ، وواحد آخر يلحن نفس الاغنية من مقام « الراست » ، وهكذا ٠٠ ثم ان كثيرين من الملحنين كانوا يستخدمون جملا موسيقية واحدة ويقيمون عليها أغانيهم ٠٠ كان يحدث هذا فى الاغانى الفردية الميلودية ، وسيد درويش لحن عددا كبيرا من هذه الاغانى ، ولكنها ليست مصدر عظمته كموسيقار ٠٠ ان سر عظمته هو أنه قفز من هذه الاغانى الى المسرح ٠٠ لو لم يصعد الى خشبة المسرح لما امتاز عن غيره هذا الامتياز المنقطع النظير ٠٠ وصحيح أن سلامه حجازى صعد الى المسرح قبله وهذه خطوة متطورة جدا ، ولكنه وقف على خشبة المسرح بألحان « التخت » ، وأما سيد درويش فقد وقف على خشبة المسرح بألحان مسرحية ٠

مسالة ثالثة : ان كثيرين يتحدثون عن ميزته الكبرى فى الاتجاه الى الاغانى الشعبية والجماعية ، وهذه ميزة ضخمة فعلا ، ولكن المهم من الناحية الفنية البحتة هو تطوير « التكنيك » والاسلوب ٠٠ انه حتى فى الاغنية الفردية نقلها الى الموضوعية ، وترك أسلوب الانغام المتجاورة واستخدم الجمل الموسيقية بطريقة وضع « القرار » بجوار « الجواب » ٠٠ كان الاسلوب المألوف هو البدء من القرار ثم الجواب تدريجيا نغمة بعد نغمة ، ولكن سيد درويش ثار على هذا الاسلوب وقفز من القرار الى الجواب مباشرة بشرط التزام التآلف ، وهذه نقطة فى غاية الدقة ٠

بديهى أن هذه الأغانى من مزاياه الواضحة

فى الألحان المسرحية أحدث اعجازا ٠٠ فعلى الرغم

من أنه لم يدرس علم التأليف الموسيقى فقد أدرك حاجته الى هذه الدراسة ، وهذا الادراك وحده دليل على الفهم العميق ، وطبعا لم يجد من يوفده الى الخارج لان المسيطرين على المجتمع وقتئذ لم يخطر على بالهم ان الموسيقى «علم» — المهم أن سيد درويش وصل بفطرته الموسيقية السليمة الى استخدام «الكاونتربوينت» و «الهارمونى» فى ألحانه المسرحية ٠٠ والدليل على اعجازه هو أنه لحن أوبريتاته كلها دون أن يدخل فيها «**ربع المقام**» ، مع أنه كان يدخله فى أغانيه الميلودية ٠٠ وهذا اعجاز لم يلتفت اليه أحد فى تقييم ألحانه ٠

الحقيقة أن مزاياه كثيرة جدا ، ولكن لم يدرك حقيقتها مؤيدوه ومعارضوه على السواء ٠ اننا لم نفهم سيد درويش للآن فهما علميا ، لأن مقاييسنا شاعت فيها المقاييس الخاطئة ٠٠ فمثلا توهمنا أن «التعبير» فى الاغانى هو ترجمة المعنى اللفظى بالموسيقى ٠ مع أن التعبير الموسيقى هو تلحين الاغنية كلها كوحدة موضوعية ، وليس مجرد ألفاظ أو أبيات متتابعة ٠٠ هذه الموضوعية أدركها سيد درويش ٠٠ ان أخطاءنا فى تقييمه لاتزال ملحوظة للآن ، وفعلا حدثت أخطاء كثيرة فى البرامج الاذاعية التى أذيعت فى الاسبوع الماضى بمناسبة ذكراه ٠٠ ان محمد صلاح الدين الاستاذ بالمعهد العالى للتربية الموسيقية للمعلمين وهو من الدارسين المتعمقين القلائل كتب لى عن أخطاء مضحكة لاحظها فى بعض البرامج التى تناولت فن سيد درويش ، وصورته — بدون قصد طبعا — بصورة الملحن الذى يجهل الفرق بين الانغام ٠٠ وأنا أشير الى ذلك للدلالة على حاجتنا الى التقييم العلمى ٠

ان أحد البرامج الاذاعية روى أن سيد درويش استمع الى زقزقة عصافير الكناريا فقال له أحد أصدقائه : اسمعنا لحنا من نغمة البياتى التى تزقزق منها هذه العصافير ، فغنى سيد درويش دور «انا هويت وانتهيت» ٠٠ ان الذين يعرفون أبسط المعلومات عن المقامات والانغام تضحكهم مثل هذه الرواية ، لان هذا الدور ليس من مقام البياتى بل هو من مقام «الحجازكاركرد» ، فضلا عن أن زقزقة العصافير لا تشكل مقاما موسيقيا معينا ٠٠ انى اشكر الاستاذ صلاح الدين على هذه اللفتة الفنية ، وأتمنى أن تستعين مرافقنا الفنية بأمثاله من الدارسين القلائل فى مراجعة برامجها الموسيقية ٠

المدهش اننا نخطىء فى تقييم سيد درويش ، بينما يحدث العكس فى الخارج ٠٠ لقد اتيح لبعض علماء الموسيقى فى النمسا أن يستمعوا الى بعض ألحانه فادركوا قيمتها الفنية وطلبوا موافاتهم بالنوت الموسيقية لعزفها ، وادهشهم أن يصل موسيقار عربى الى هذا المستوى ٠٠ ان هذه حادثة فنية حدثت فعلا فى أكاديمية فيينا ٠٠ ان كمال هلال الطالب العربى الذى أوفد الى هذه الاكاديمية فى بعثة دراسية شاهد هناك منذ ثلاث سنوات حفلا موسيقيا اشترك فيه زملاؤه الطلاب من مختلف بلاد العالم ، وقدم كل منهم أناشيد بلاده ، ولم يجد كمال هلال ما ينشده فليس لدينا أناشيد ، ولكنه أنقذ الموقف وغنى لهم لحن سيد درويش **الحلوة دى قامت تعجن فى البدرية» والديك بيدن كوكوكوكو** ، وفوجىء بخبراء الموسيقى فى أكاديميته ، وهم يستفسرون منه عن مؤلف هذا اللحن الذى وصفوه بالنضوج الفنى ٠

الى هذا الحد يدركون اهمية الحان سيد درويش فى أوربا ، بينما نجهلها نحن فى بلادنا ، والسبب هو عدم استخدام المقاييس العلمية ٠

ان من واجبنا نحو سيد درويش أن نعيد تقييم تراثه تقييما علميا ، وأن نحاول تسجيل هذا التراث وخاصة الابروبتات أو الالحان المسرحية ٠

علينا أيضا أن ندرس بعمق أسباب تحطيم مسرحه الغنائى ، لنحاول اعادة بناء المسرح الغنائى على أسس سليمة ٠

وعلينا أن ندرس أغانيه الجماعية لندرك أن الاغنية الجماعية هى الاغنية ذات البناء السليم فنيا ، ومن أجل ذلك يسهل ترديدها على أى صوت ٠

وعلينا أن ندرس أغانيه للطوائف لندرك كيفية استخدام الطابع الفنى وكيفية تصوير البيئة ٠

وعلينا أن ندرس الحانه المسرحية لندرك معنى الموضوعية والوحدة الفنية ، ولندرك أن الاوبريت موضوع متكامل وليس مجرد الحان متتابعة ٠

وعلينا أن نعيد تسجيل الحانه كما هى ، وايضا نعيد تسجيلها بالاساليب الحديثة ، وندرسها جميعا فى المعاهد الموسيقية ، ونقدمها على المسارح وفى الاذاعة والتليفزيون بعد اعادة صياغتها فنيا ٠٠ بهذا الشكل نحتفل بسيد درويش ، ونصحح مفهوماتنا الموسيقية أيضا ، وكفانا جعجعة على الفاضى !

« **عبد الفتاح البارودى** »



حول الأدب فى أسبوع

يقدمه عبده بدوى

رسالة

أخى الكريم الاستاذ عبده بدوى

سرنى اهتمامك بالتعليق على الندوة الاذاعية التى ناقشنى فيها الدكتور لويس عوض والشاعر صلاح عبد الصبور حول كتابى « قضية الشعر الجديد » . وأرجو أن تسمح لى بالادلاء بالايضاحات التالية :

١ ـ أوافقك على أنه كان الأفضل أن يمثل الاتجاه العمودى أحد أنصاره من النقاد ، فان ذلك كان يحقق صراعا أعمق بين الاتجاهين المتعارضين . لكن ندوتنا مع ذلك لم تخل من مناقشات جادة كما لاحظت فى تعليقك ، ولم تكن كلها مجاملات متبادلة وان كنت لا أوافقك على انها كشفت عن خلافات جوهرية تمس صميم القضية ، بل اعتقد انها جميعها كانت اختلافات فى الفروع والتفاصيل .

٢ ـ حين قال الدكتور لويس عوض ان الشعر الجاهلى يذكره بالشعر اللاتينى ، فانما كان يشير الى غرابة ألفاظه وصعوبة تراكيبه قبل أن نجيد دراستها وفهمها والاستجابة لجمالها الفنى . لكنه وافقنى موافقة تامة على ما ادعيت لقصيدة الجميع من حيوية التجربة والاقتراب من لغة الحديث الحية الزاخرة ، فلم تكن به حاجة الى أن تقتبس له من تعليقى على القصيدة ما اقتبست ، فهو مقتنع بما قلت اقتناعا كاملا .

٣ ـ لم يكن هناك تناقض بينى وبين الدكتور عوض حول بساطة الاساس الموسيقى للشعر الجديد أو تعقيده ، بل كانت محاولة مزدوجة تعاونا فيها على ايضاح ما نعنى بتعبير لا يخطىء السامع فهمه . وانتهينا الى ان الشعر الجديد يقوم على أساس موسيقى بسيط خال من التعقيد الشكلى الخارجى الذى يرهق نظام الايقاع القديم . لكن بساطة هذا « الاساس » نفسها هى التى تمكنه من التنوع الفنى حتى يلائم تعدد الافكار والامزجة والعواطف الدقيقة التى يمر بها الشاعر الحديث . وقد ضربت على هذا مثالا بالبحر اليامبيكى الذى يرد عليه أغلب الشعر الانجليزى ، فهو يقوم على أساس ايقاعى غاية فى البساطة هو توالى مقطعين أولهما غير مضغوط ، وثانيهما مضغوط ، فيحقق بذلك من المرونة والمطاوعة والسماح بالتعديل والمخالفة ما لا يحققه نظامنا العروضى الكمى المسرف الانضباط الكثير القيود الشكلية التى يلتزم الشاعر بها . وقد وافقنى الدكتور عوض على هذا التقرير .

٤ ـ ما سميته أنا « غمزة متلطفة » من الشاعر صلاح عبد الصبور ، كان ملاحظة مشروعة له الحق فى أن يدلى بها ، وهى قوله اننى فى حماستى للشعر الجديد أسبق الشعراء أنفسهم فى الدعوة الى تجديد لم يجرأوا عليه بعد ، وهو تغيير الاساس الايقاعى تغييرا جذريا من كمى الى نبرى . لكن

ثلاثتنا قد اتفقنا على أن شعراءنا سينتهون عاجلا أو آجلا الى تغيير جذرى من نوع ما يفوق ما فعلوا حتى اليوم . وان يكن الدكتور عوض أميل الى موافقتى على أن التغيير المنتظر سيكون الى النظام النبرى، ونحن متفقون على تحقق النظام النبرى فعلا فى الكثير من أشعارنا وأغانينا الشعبية .

٥ - أصارحك أيها الأخ الكريم بأنى لم افهم ما يعنيه مثلك بـ «خطورة الآراء الخطيرة التى حطمها الأثير». فعهدى بك أنك توافق موافقة أساسية على قضية التجديد الشعرى وان خالفت فى عديد من التفاصيل. وقد استعرضت بذاكرتى آراءنا التى عبرنا عنها فى ندوتنا ، فوجدت أقربها الى أن يصفه البعض بالخطورة ، ما قاله الدكتور عوض عن حتمية تحرر العربية من الاعراب فى أواخر الكلمات كما تحررت جميع اللغات المستمرة التطور . واللغة الالمانية لم تحتفظ بالاعراب الا فى كلمات محدودة مثل أسماء الاشارة وأداة التنكير، وهذا نفسه يعده علماء اللغات دليلا على تخلفها النسبى عن الانجليزية مثلا . وبرغم انى - كما قلت فى الندوة - لا أوافق الدكتور عوض على أن عدم هذا التحرر هو الذى يعوق ادخال النظام النبرى ، فما كنت أحسب ناقدا فى سعة نظرتك وايمانك بضرورة التطور يعد رأيه هذا رأيا «خطيرا» بالمعنى الذى سيتبادر ولا شك الى أكثر قرائك .

٦ - وأخيرا أحب أن أؤكد لك انى لم أكن « غاضبا » بحال ، فلعله مجرد تحمسى الذى يلون صوتى حين أتحدث عن مسألة أومن بها ايمانا عميقا، ولست أدرى متى سأصل الى هدوء الكهولة ورزانتها! ولك تحيات أخيك المخلص ..

محمد النويهى

رد على الرسالة

١ - أراد الأستاذ الدكتور محمد النويهى أن يصرف قول الدكتور لويس عوض عن قصيدة الجميح الأسدى « كأنها لاتينى » الى الشعر الجاهلى كله بما فيه قصيدة الجميح ، بعد أن رآنى أضع القول «بلاتينيتها» فى مواجهة قول الدكتور النويهى عنها فى كتابه «ما رأيك أيها القارىء الكريم فى هذه القصيدة الجاهلية التى نظمت منذ ألف واربعمائة سنة ! أمنقطعة هى عن صميم التجربة الحية النابضة ! وما رأيك فيما ادعينا من اقترابها من لغة الحديث الحية الزاخرة التى يتحدث بها الناس فى واقع تجاربهم ! وهل كنا مبالغين حين ادعينا اقترابها العجيب من لغة الحديث العامية التى نتحدث بها اليوم !؟ » .

ومع أنى أشهد بأنها محاولة ذكية للتخلص ، الا أن الدكتور سرعان ما يقول مزدهيا « .. حين قال الدكتور لويس عوض ان الشعر الجاهلى يذكره بالشعر اللاتينى ، فانما كان يشير الى غرابة الفاظه وصعوبة تراكيبه قبل أن نجيد دراستها وفهمها والاستجابة لجمالها الفنى » .

فهو يقدم لنا « تركيبة » يفهم منها ان كلام الدكتور لويس ينسحب على الشعر الجاهلى **(كاد يشير الى غرابة الفاظه وصعوبة تراكيبه)** وعلى قصيدة الجميح الأسدى **(قبل أن نجيد دراستها وفهمها)** وهو يعمد الى هذا حتى لا يتحقق هذا التناقض الحاد بين القول « باللاتينية » والقول « بالبساطة المتناهية » ، وحتى يمكن تشتيت القراء بين ما سمعوا فى الندوة، وقرأوا فى مجلة الثقافة ، ثم فى الرد المنشور .

الا أننا نصبح فى حيرة من كلمة د. نويهى عن د. لويس « فهو مقتنع بما قلت اقتناعا كاملا » فهل الدكتور لويس مقتنع بالشعر الجاهلى أم بقصيدة الجميح الأسدى ! أيهما « لاتينى » يادكتور نويهى! على كل اذا كنت تريد « توريط » الدكتور لويس عوض - وليس فى الندوة ما يدل على ما تقول فى الاعجاب بالشعر الجاهلى فسنشكرك لانك كسبت أذكى نقاد العصر الى هذه الفترة ، ولأننا لا نرجو منه - فى هذا المجال - أكثر مما نرجو منك .

٢ - يذكر الدكتور النويهى انهما تعاونا « بتعبير لا يخطىء السامع فهمه! » الى أن الشعر الجديد يقوم على أساس بسيط خال من التعقيد الشكلى الخارجى الذى يرهق نظام الايقاع القديم ، وأنا بدورى أنقل « بتعبير لا يخطىء القارىء فهمه » ما قاله الدكتور لويس حرفيا « كان الاحساس الميلودى هو المسيطر فى الماضى على الانسان فكان التعبير بالايقاع بسيطا، فلما تعقدت الحياة أصبحت الموسيقى معقدة ..الخ» فالدكتور لويس كان يتكلم عن الموسيقى الهارمونية، والدكتور النويهى كان يتحدث عن الموسيقى البسيطة التى يفهم منها الخط « الميلودى » ، ومع انه رجع الى مصطلح « الأساس » الا أن مما لا شك فيه أن ما قيل فى الندوة ، غير الذى نشر ، غير الذى قيل فى الرد.. ومن الانصاف أن أذكر أن « ابراهيم الصيرفى » وقف عند هذه الفكرة المتعارضة وناقشها فى الندوة ، وقد استوثقت منه أخيرا ما دار حول هذه الفكرة فأكد ما قلت ، ولا أدرى لماذا يفد الى ذهنى قول البزابيث درو : من أن الحديث عن فن باستعمال مصطلحات فن آخر لا يؤدى الى نقد مفيد، وليس لهذا من سبب سوى أن أوجه الاختلاف أكثر من أوجه التلاقى .

٣ ـ ثم بقيت كلمة وهي أن البحر « الميامبيكي » الذي يرد عليه أغلب الشعر الانجليزي ويتكون كما ذكر الدكتور من توالي مقطعين أولهما غير مضغوط وثانيهما مضغوط، لايختلف كثيرا عن البحر العربي « المتدارك » وأنه لا يعيب العروض العربي أنه قد استوعبه واستوعب عديدا آخر من البحور تصل الى ستة عشر ، وقد لاحظت أن هذا البحر حظي بحركة احياء في الشعر المعاصر ٠٠ ربما لانه يعطي التوتر ، وخفة الحركة ، وشيئا من الانتقال الطبيعي من الحركة ثم السكون وهكذا ٠

٤ ـ مشروعية «الغمزة الطريفة» كما قيلت في الندوة والمتلطفة كما قيلت في الرد ـ وليغفر لي هذا الاحتراس ـ ليس لي اعتراض عليها ، ولكن الذي أردت أن الفت اليه أن الدكتور النويهي لم يرد ظاهرة « النبر » الى مكانها في الادب الشعبي الا في هرولة ـ الى حد أن الدكتور لويس لم يتنبه الى أنها خطفت خطفا في الكتاب ـ فقد كنت أطمع أن يقف طويلا عند هذه الظاهرة في الادب الشعبي لانها من حق هذا الادب ، ثم يقف وقفة أطول عند الذي أخذه من الدكتور ابراهيم أنيس ، ثم يأتي بعد ذلك الربط بالشعر الانجليزي ٠

ثم مرة ثانية لاني أردت أن أقول له هل أتي بهذا لهدم اللغة العربية أم لتطويرها ! ولانه مادام قد قرر في كتابه أن موضع النبر يختلف في القراءة بين شعب عربي وآخر ، بل بين سكان مختلف الاقاليم في الشعب الواحد ، ولانه لابد أن يعرف أنه لا يمكن أن نضع قوانين لمعرفة مواضع النبر في القراءة ، وأن الآذان تختلف في تجاوبها بحيث يتفاوت صوت الشاعر نفسه لدى عدد من القراء ٠٠ اقول أنه مادام يعرف هذا فكيف يتسنى له أن يضع هذه الظاهرة في هذا الشكل المتحمس ، ان له أن يقول ما يشاء ولكن عن أي شيء ينم هذا « التشريع » المتظاهر الذي يضعه في المستقبل للشعراء !

أما أنكم أنتم الثلاثة (النويهي ٠لويس٠صلاح) قد اتفقتم على أن الشعراء سينتهون الى تغيير جذري من نوع ما يفوق ما فعلوه حتى اليوم ، فأنا أعتقد ان هذا شيء طبيعي ، ولكن الذي اعتقده أنه لن يكون « النبر » الذي تحدثت عنه الا في حالة واحدة، وهي أن تصبح اللغة العربية الفصحى « كاللاتينية » ثم تنشق عنها لغات عربية جديدة تسمح لنا بقول « الشعر المنبور » وتسمح بأن يكون لكل بلد عربي لغته الخاصة به التي لا يمكن أن يتفاهم بها مع شعب عربي آخر كان شقيقا له « قبل النبر » ، بل ان الأمر لن يقف عند هذا وانما سيتعداه الى سكان الزمالك والحلمية ، وحينئذ سنتذكر تلك الأمثلة الرائدة التي ذكرها الدكتور النويهي في كتابه ، والتي كان صوته مهيبا وهو يذكرها في الندوة ، والتي تقول :

١ ـ رحت فين ٠٠ وسيبتني ٠٠ يا جملي ئي ؟

٢ ـ سيبوني ياناس ٠٠ ياناس سيبوني
سيبوني ٠٠ أبرد جسمي
سيبوني ٠٠ أطفي ناري

٥ ـ يعارضني الدكتور بعد أن « فقش » لي خطأ مطبعيا هو « خطورة الآراء الخطرة ـ أقصد المثيرة ـ التي حملها الأثير، ثم يذكر أني أوافق موافقة أساسية على قضية التجديد الشعري وان خالفت في عديد من التفاصيل، وأنا معه في هذا وأشكر له حسن التعبير عن موقفي ٠

والدكتور يأخذ على كلمة « خطيرة » ليضعني بذكاء في فوهة الدكتور لويس الذي يدعو الى « تحرر اللغة العربية من الاعراب وحركة نهايات الكلام! » وليبرر قول الدكتور لويس ان كل اللغات الاوربية قد تحررت من الاعراب ، في الوقت الذي رددت فيه بأن الالمانية لغة معربة ، والذي أحب أن أؤكده أن اللغة العربية يجب عليها أن تتطور أبدا ، ولكنها لن تصل في تطورها الى أن تكون كاللغة العامية ، او أن تقطع صلتها بكل أمجادها السابقة ، أما تقليله من الاعراب في الالمانية ، فالكل مجمع على أنها لغة معربة وهذا أصل القضية ، وقد أجهدت نفسي وراء عدد من الذين يتقنون الالمانية فاذا بهم يتحدثون بما يخالف ما علق به على هذه الفكرة ٠

وأخيرا ٠٠ فقد كان من المفارقات أن يتصل بي الدكتور النويهي تليفونيا ، ثم يقول لي أنه لا داعي ـ اذا كنت سأنشر الرد ـ الى البند الخامس من رده، وهو البند الخاص بقولي انه كانت هناك آراء خطيرة، لانه وضح له بعد نشر الندوة في مجلة الثقافة أن المناقشين أنفسهم يلتقون معي في هذا القول !

ومهما يكن من شيء فقد تساءل الدكتور النويهي « متى سأصل الى هدوء الكهولة ورزانتها ؟ » ، وأنا لاتعنيني الاجابة على هذا السؤال الطريف، ولكن الذي يعنيني حقا هو أن أكتب ثم لايرد على الدكتور النويهي

وكم أنا مرتاح لان تكون مجلة « الرسالة » قد احتضنت أكثر من مرة كتاب الدكتور الذي يتعرض لقضية الشعر الجديد ٠

وفي الختام احييك بالتحية الصادقة التي وجهتها الي ، وأضيف اليها، نحن في انتظار رسائلكم الكريمة ومن هنا لن أقول « السلام ختام » ٠

الكتب

نقد وتعريف



يقدمه : تحسين عبد الحى

العرب والحضارة الاوربية

انا حينما نتكلم عن الحضارة العربية وأثرها في التقدم الانساني ، عبر مراحل التاريخ المختلفة ، لا تكون أقوالنا حينئذ مجرد اجترار لمجد مضى ، وانما هي لتثبيت حقيقة يجب ان تزدهر بمقوماتها الحديثة ـ في نفوسنا ـ في فترة الانطلاق والتحول العظيم الذى يجتازها شعبنا ـ صانع الحضارة والتاريخ ٠٠ في نفس الوقت الذى يمكننا ان نؤمن فيه ايمانا تاما أن تجميع امكانيات أمتنا المبعثرة عبر الحدود والكيانات السياسية ـ انما هو عمل من الاعمال التى تفرضها اهمية وضرورة المرحلة التاريخية التى تجتازها أمتنا في فترة تمددها ومواجهتها المباشرة للحضارة الغربية ٠٠ والتى اصبح من المحتم علينا أن نغذيها بطاقات أمتنا المتجددة بلاقيود ولا حدود تعرقل تقدم هذه الطاقات ونموها ـ لكى تتحمل مسئولياتها التاريخية ـ في خدمة الانسانية والجنس البشرى ٠٠٠

ان واجب المفكر العربى في هذه الفترة الا ينسى أو يتناسى تراث أمته وماضيها ـ ليس لمجرد الذكر والتفاخر ـ ولكن لتطوير وتثبيت دوافع العمل الحقيقية في صلب تجربة الانسان العربى الفرد ـ في الوقت الذى يجب أن نشجب فيه كل محاولة مباشرة أو غير مباشرة لمسخ الشخصية العربية ومحاولة ربطها بقيم وأفكار تقدمية في ظاهرها متخلفة في أصولها ووسائلها ٠٠

ان لنا رسالة ٠٠ ذلك أمر لا شك فيه ٠٠ ونضالنا اليوم جزء من تلك الرسالة ٠٠ ذلك أمر ينبغي الا يكون هناك شك فيه أيضا ٠٠ فلنجعل من نضالنا تعبيرا حقيقيا وكليا عن رسالتنا بأن نحاول أن نعيش تلك الرسالة ومعانيها وقيمها ٠ أن نحاول بصدق واخلاص ما استطعنا الى ذلك سبيلا وحينئذ لا نكون مجرد (حملة) رسالة وانما أهل رسالة حضارية عربية جديرين بحملها ـ ونقدم كل لحظة مبررا جديدا وغذا لجدارتها تلك ٠٠

وكتاب اليوم يبحث في أثر الحضارة العربية ودورها الاساسى في تقدم وازدهار الحضارة الاوربية ومؤلف الكتاب هو استاذنا الكبير محمد مفيد الشوباشى الذى قدم لنا دراسة علمية شائقة ومفيدة وباسلوب أدبى جذاب ٠٠ مما يجعل الكتاب في رأيى من الكتب التى تحقق فائدة مزدوجة ٠ وكتاب العرب والحضارة الاوربية ـ يمكن أن يفيد الباحث المتخصص الى أبعد مدى في الوقت الذى يستطيع فيه القارىء العادى أن يستوعبه بسهولة ويسر ـ مستمتعا باسلوبه الادبى المشوق ٠٠

يقول المؤلف :

« يرى مؤرخو الغرب أن الحضارة الاوربية الحديثة وليدة الحضارة الاغريقية ٠ فغزو الرومان لغرب أوربا ، وغزو النورمانديين لانجلترا ، وما تبع ذلك من غزوات ، أيقظ وعى الشعوب في تلك الاصقاع ، ولفتها الى ثقافة الغزاة ، فأقبلت على المصنفات اللاتينية التى كانت تعكس الفكر الاغريقى، ونهلت منها ، وغذت لغتها الاصلية بفيض من

كلماتها • وتهيأت بذلك للنهضة الحديثة التي بدأت كما يقول أولئك المؤرخون بسقوط القسطنطينية ، ونزوح علماء الاغريق الى غرب أوربا مزودين بمزيد من المؤلفات الاغريقية •

ونحن نسلم لهؤلاء بأن أثر الثقافة الاغريقية كان فعالا في حركة نهوض أوربا خلال العصر الوسيط ، ولكننا ننكر أن الفكر الاغريقي هو الذي عاونها على الخروج من ظلمات ذلك العصر ، وأطلع فجر نهضتها الكبرى ، وآذن بانبثاق العصر الحديث ، ونقرر مع المنصفين من المؤرخين الغربيين ، وهم قلة ، أن تيار اليقظة الاوربية ابتعد فجأة عن الموارد الاغريقية – أو ابتعد جانبه الرئيسي عنهـا – وعرج ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي على الموارد العربية ، ومن ثم ظهرت في أوربا بوادر نهضة علمية أدبية ذات خصائص جديدة شبيهة بخصائص ثقافة العرب » •

لقد كان فكر الاغريق وأدبهم ينتشران في أوربا ، خلال العصر الوسيط ، باللغة اللاتينية التي لم يكن يلم بها الا قلة من المثقفين أغلبهم من رجال الكنيسة ، وكان فريق من هذه القلة يتعصب لأفلاطون ، وفريق آخر يتعصب لأرسطو الى الحد الذي لم تستطع معه حتى المسيحية أن تحدث أثرها ، وأن تؤتي وقتذاك ثمارها في تلك البلاد •

وظهر من بين هذين الفريقين مؤلفون عمدوا الى وضع مؤلفاتهم باللغة اللاتينية طبعا ، لانها كانت لغة الكتابة الوحيدة في ذلك العهد ، وكان الجمهور الغارق في الجهـل غير ملم بها بداهة ، فلم يتأثر بتلك المؤلفات الا عن طريق رجال الكنيسة وأتباعهم الذين كانوا يبثون مضامين بعضهـا في الاذهان ، وكان الناس هنـاك وقتئذ مسـيحيين ، **ولكنهم لم يتلقنوا تعـاليم المسيحية الا عن أولئك الرجال الذين كانـوا متشبعين بالفـكر الاغريقي فصبغوا الديانة المسيحية بلونه الوثني الاسطوري – بيد أن الاساطير الرمزية الاغريقية ، ذات المعاني الادبية ، والدلالات الاجتماعية والسلوكية تحولت في ذهن ذلك الشعب الغارق في الجهالة الى خرافات مجردة من كل دلالة انسانية ومعنى شعري ، فزادته امعانا في ضلالات جهله ••• وعلى هذا النحو تأثرت أوربا الغربية ، خلال العصر الوسيط ، بحضارة الاغريق •**

ان الادب الاوربي الوليد وقتـذاك لم يكن اذن يعكس نشاط مجتمعه الفكري والعاطفي والمادي ، ولكنه كان يحاكي بلا وعي ، أو بوعي بدائي قاصر ، أدب الاغريق الاسطوري • ولكن الحال بدأت تتحول حين اتجه التفـكير الى التعبير عن ألوان النشـاط الفكري والعاطفي باللغة المحلية ••

ففي عام ١١٦٥ أقدم الشاعر الفرنسي « **بينييت دي سان مور** » على ترجمة **قصة طروادة** من اللاتينية الى الفرنسـية وحافظ على شكل الاصل فترجمها شعرا •• وبهذا العمل الادبي فتح «دي سان مور» باب ترجمة المؤلفات الاغريقية المكتوبة باللاتينية الى الفرنسية •

وما كثرت الاعمـال الادبية التي نشرت يومذاك بالفرنسية ، وتزايد عدد قرائها حتى نزع بعض أهل القلم الى تأليف منظومات قصصية على غرارها •• ثم تخطوا مرحلة المحاكاة شيئا فشيئا ، وحاولوا أن ينتجوا أدبا أصيلا يعكس واقعهم ، بدلا من الاغتراف الاعمى من أدب الاغريق ، أو التوليد منه •• وقد أعوزتهـم نمـاذج من الادب الانسـاني الراقي يسترشدون بها وهم يخطون الخطوات الاولى في هذا الصدد لتحقيق بغيتهم • وفي هـذا الوقت بالذات واتتهم الفرصة السـعيدة ، وزودهم « **الشعراء التروبادور** » أو الشـعراء المتمدون الأندلسيون بذلك اللون المنشود من الادب ، وهو اللون الذي تميز به الادب العربي قبـل أن يتميز به أي أدب غيره من آداب العالم •

واذا اقتضانا هذا البحث أن نحدد تأثير كل من الادبين الاغريقي والعربي في أدب الغرب فلا بد من تحديد الخصائص التي تميز بهـا كل من هذين الادبين ، وعند ذلك سيتضح لكل منكر كيف تحول أدب أوربا – ابتداء من أواخر القرن الثـاني عشر الميلادي – من المصادر الاغريقية الى المصادر العربية•

فبالرجوع الى قصص الاغريق ومسرحياتهم نجد أنها عند تعرضها للحب لا تصور منه الا ذلك اللون العتيق الذي فسره ذلك الفيلسوف ••• أي الحب الضحل المتولد من العـلاقة الزوجية المفروضة على الزوجين ، والحب الفـاجر •• حب الزوجة التي تعرض عن زوجها لتنصرف الى عشيقها •• والعشيق الذي يقتل الزوج فيخلو له الجو ويتزوج عشيقته ثم تتكرر المأساة ، فتعلق العشيقة بعد الزواج برجل آخر يقتل زوجهـا الجديد •• – ان الحب الذي تصوره لنا ملاحم الاغريق ومسرحيـاتهم هو الحب الجسدي العنيف المخيف •• الحب الذي تراق في سـبيل ملذاته الدماء ، وتزهق الارواح ، وتقتحم

الاهوال .. الحب الذى يتحرق الى القسر والاسر والاغتصاب ..

اما الحب الانسانى المتبادل ــ الحب الطاهر العفيف .. الحب الذى يورث المروءة والنخوة والنبل ، ويدفع صاحبه الى نصرة الضعيف ونجدة الملهوف .. ان هذا الحب الشبيه بحب العذريين العرب لم تعرفه أوربا الا بعد اتصالها بالعرب ــ ولم تصوره القصص الاوربية الا منذ ذلك الحين ..

ولقد أمد العرب أوربا بعلم هو أساس الجانب المادى من الحضارة الغربية.. أمدوهم بعلم الرياضة، أو بنظريات استحدثوها فى علم الرياضة ففتح ذلك لأوربا طريق التقدم العلمى فسيحا ممتدا الى غير حد .. ولا يجادل أحد فى أن الجانب المادى من الحضارة الحديثة يقوم أساسا على الرياضيات ، فهى ، أى الرياضيات، كانت ولاتزال المفتاح الرئيسى حتى لمغاليق العلوم الطبيعية والجغرافية والهندسية وغيرها . بل لقد اخذ ديكارت يستعين بها لوضع فلسفة يفسر بها الوجود ، ثم اعتمد عليها برتراند راسل اخيرا لحل معضلاته الفلسفية ، وسبك معادلاته المنطقية .. فالى اى مدى افاد علماء الغرب من مبتدعات العرب الرياضية حتى استطاعوا بالدأب على الدرس والعمل المجيد اطلاق الصواريخ والاقمار الصناعية ؟ ..

لقد ابتدع جابر بن حيان علم الجبر الذى سمى باسمه . وابتدع الخوارزمى وهو عربى الثقافة والعقلية رغم أصله الفارسى.. ابتدع اللوغارتم الذى سمى كذلك باسمه ، اذ كان الاوربيون يعرفون اللوغارتم باسم « الجورتمى » أى الخوارزمى .

ولن تشط بى الحماسة اذا جاريت من يزعمون ان العرب هم الذين ابتدعوا الحساب ، وجزمت بأنهم هم أول من كتبوا الارقام السهلة الحديثة ، وادلل على ذلك بأن الكتابة فى أوربا كالكتابة الاغريقية تتجه من الشمال الى اليمين ، وكان الطبيعى أن تتجه كتابة الارقام المركبة هناك هذا الاتجاه ايضا ، ولكنها على العكس تتجه من اليمين الى الشمال ككتابة الارقام العربية سواء بسواء .

ويجمع مؤرخو الفلسفة الغربية على أن مؤلفات ديكارت هى التى حولت الفكر الاوربى الى الاتجاه الحديث . ولسنا فى معرض تفصيل العناصر الجديدة الثورية التى اشتملت عليها اعمال هذا الفيلسوف ، ولكنا سنشير الى حجر الزاوية فى التحول الفلسفى الديكارتى .. لقد تبحر هذا الفيلسوف فى العلوم الرياضية واهتدى الى فكرة بسيطة كانت لها أخطر النتائج ، لقد خطر له أن يطبق قواعد الجبر على علم الهندسة ــ لا سيما فرعيه النظرى والميكانيكى ــ وعلى مستعصيات علم الحساب ، وقد وصل بذلك الى كشف مغاليق تلك العلوم وتفسير أسرارها ، بل استطاع أن يفلسفها. ثم يفسر الوجود « فلسفيا » على ضوئها .. ومن **ثم أقام صرح فلسفته التى تفسر الوجود تفسيرا ميكانيكيا . وهكذا نرى أن الفلسفة الغربية مدينة بتطورها الحديث للعرب .**

ويؤكد مؤرخو الغرب أن فلسفة ديكارت كانت نقطة انتقال الفكر الاوربى من عهد محاكاة الاغريق الى عهد الاصالة والانطلاق ، **ولكن احدا من أولئك المؤرخين لم يذكر لنا فضل العرب على ديكارت ــ أو مدى افادته من علومهم التى نقرر نحن هنا انها هى التى فتقت ذهنه، ومكنته من اقامة صرح فلسفته .**

بيد أن أثر الفكر العربى ظهر فى أوربا حتى قبل ديكارت الذى عكس هذا الاثر بجلاء فى فلسفته ..

ولسنا نشك فى ان كوبرنيكس وجاليليو قد أفادا من بحوث العرب فى علم الفلك الذى تلقياه أيضا من المصريين عن طريق الاغريق .

واذا كابر فى ذلك مكابر فانه لا يستطيع أن ينكر أن هذين العالمين اللذين غيرا معتقدات العالم عن الكون قد استعانا بالجبر على حل ما اعترض دراساتهما من تعقيدات رياضية .. كذلك توصل «نيوتن» به **وباللوغارتم الى كشف القوانين الطبيعية التى لا نظن قارئا يجهل ما كان لها من قيمة فى تطوير العلوم الرياضية والطبيعية ..**

وقد اشاد بعض العلماء الاوربيين بفضل العرب على تشييد صرح الحضارة الاوربية وقطعوا بأن هذا الصرح لم يكن ليقام لولا مساهمة العرب فى تشييده ومن أمثلة ذلك ما قرره الاديب المؤرخ الفرنسى « روبير بريفو » فى كتابه « الشعراء التروبادور » صفحة ٢٠: اذ قال «كانت أوربا فى القرن الحادى عشر، والقرن الثانى عشر ، تتجه الى العرب باحثة عما استجد عندهم من صناعات وعلوم .. ومن فنون خاصة بالملاحة كانت السبب فى تطورها وتبدل حالها .. كانت أوربا تتجه اليهم منقبة عن كشوفهم فى علوم الرياضة والفلك والطب والكيمياء ، بل كانت تبحث عندهم عن آثار «أرسطو» وابن سينا ، وابن رشد، وكان علماؤها من أمثال «دانيال دى مورين»

و «ميشيل سكوتوس ، ودى جريمون ، ودوريلاك ، وريمون لول » يلتمسون عند العرب حصاد عالم جديد من الفكر والعلم – ووجد «ريجيومونتانوس» عندهم المعارف التى مكنت « **هنرى الملاح** » و « فاسكودى جاما » و « خريستوف كولمبوس » من ارتياد المحيطات والوصول الى اطراف العالم ، وعثر « اديلهارد دى بات » فى قرطبة على النسخة الوحيدة فى العالم من مخطوط «أوسليد» الذى ظل يلقن للطلبة فى مدارس أوربا حتى عام ١٥٣٣ – بل ان الكنيسة نفسها التجأت الى العرب لتجد عندهم ما يعينها على اقامة صرح الفكر المدرسى ·· وبحث كل من « البير الاكبر ، وتوماس ألين » عن فلسفة العقيدة الكاثوليكية نفسها فى بلنسية ، وعند الفارابى ·· وفى الوقت الذى انشد الشعراء التروبادور شعرهم على عتبة اسبانيا العربية صرح « روجربيكون » فى اكسفورد بأن وجود الفكر الاوربى ، والعلم الاوربى ، كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية ·

أما من الناحية المعمارية فقد كان تأثير الحضارة العربية تأثيرا هاما وفعالا ·· فقد كان ملوك اوربا وامراؤها يسكنون القلاع الغليظة الجدران ، المكفهرة الحيطان ، ويحيطونها بخنادق عميقة كثيرا ما كانوا يطلقون الماء فى قاعها ، ليعوقوا هجوم الاعداء فيتعطن ذلك الماء الآسن ، ويزكم عطنه الانوف ·· **وفى هذه الاثناء كان أمراء العرب فى الاندلس يسكنون قصورا تنطق بسموهم الحضارى ·· اقاموها على غرار قصور بغداد فى عهد العباسيين ، وقصور القاهرة فى عهد الطولونيين ·**

ولما سكن ملوك اسبانيا وأمراؤها قصور الاندلس العربية بعد ان خلت من اهلها ، لم يلبثوا ان بنوا قصورا جديدة على غرارها ؛ ثم حاكاهم ملوك فرنسا وامراؤها فى ذلك فسكنوا القصور بعد القلاع والحصون وسرت العدوى الى انجلترا والمانيا وايطاليا وغيرها فتبارى أمراء تلك البلاد فى بناء أجمل المنازل ، وانشاء أبهى الحدائق ، وما زالوا يدخلون على فن البناء من المبتدعات المعمارية والزخرفية ما مكنهم فى النهاية من تشييد قصور **التويلرى وبوكنجهام والكريملين ·· وغيرها ··**

وقد استمدت أوربا تقاليد الفروسية – بما استحدثته هذه التقاليد من تطوير فى قوانين الدول الاوربية وتهذيبها استمدتها من تقاليد الفروسية العربية الاصيلة ·· وقد رأى « لوجوفتيل » ان الوطنية تولدت من تقاليد الفروسية وقد قال «امستاء » ان أسمى عناصر الوطنية وهى روح التضحية ، والتشوق الى احقاق الحق ، وحماية المظلوم نبتت أصلا فى تربة الفروسية » فاذا كان اساس الحضارة الاوربية اغريقيا فمن أين اتت أوربا بتقاليد الفروسية هذه ·· اذ أنه من المعروف ان شجاعة البطل الاغريقى كانت شجاعة بدائية وحشية – تقوم على الحب الجسدى الاسر ··

أما اذا كانت تقاليد الفروسية مستمدة من المسيحية – فان المسيحية رغم تبشيرها حثا بالرحمة والايثار والتضحية وغير ذلك – غير انها تختلف عن تقاليد الفروسية فى أن معتنقها المتشبع بروحها يقف من الملمات موقفا سلبيا مستندا الى التسامح والغفران بينما الفارس المتشبع بتقاليد الفروسية العربية يقف من الشدائد موقفا ايجابيا ينصر فيه الحق على الباطل بحد سيفه ·· ولو صدق الذين ينسبون تقاليد الفروسية الاوربية الى تعاليم المسيحية لأحدثت تلك التعاليم اثرها منذ القرون الميلادية الاولى ولما تأخر ظهورها الى القرن الثانى عشر الميلادى ··

وفى قصة الفارس دون كيشوت المشهورة دليل حى على صحة مانقول – فدون كيشوت يمثل الفارس العربى القديم – وان تقاليد الفروسية الاوربية التى يعتنقها ويناضل فى سبيلها هى بعينها تقاليد الفروسية العربية · وبمقارنة بسيطة بين دون كيشوت وبين عنترة العبسى – نستطيع ان نرى من خلالها كيف أن الفارسين العربى والاوربى يتميزان بتقاليد للفروسية واحدة ومن أجل غاية واحدة ··

لقد أثر العرب فى كل مظاهر الحضارة الاوربية حتى فى طبيعة المجتمع الاوربى نفسه – وفى كثير من تقاليده ومقوماته – ووضع العرب للحضارة الاوربية الاساس الذى انطلقت منه فى كل شىء : فى الادب والفن والنحت والمعمار وتقديس المرأة والايمان بالقيم الانسانية والمثل العليا ··

واذا كان العربى دائما يعرف ما يريد وأين ومتى فهو يعلم تماما ما هو مطالب به الآن تجاه أمته ، ليس لانه مطالب بأن يفعل شيئا ما ، ولكن ارادته هى التى تجعله يفعل ما هو مطالب به ·

تحسين عبد الحى

قراءات فى المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● **مدينة البياتى :**

لعل الفن الذى يستعمل الكلمة اداة ، يرتبط اكثر مما عداه بوجدان الشعوب ويترسب فيهـا حتى يصير جزءا من كيانها بمرور الوقت . ومن هنا تنبع خطورته على اجيال المستقبل عند ما ينظرون من خلاله الى من سبقوهم : فى اية بيئة كانوا يعيشون واية نفس كانت تسكنهم . فهو مرجع تاريخى ، لكل ما حوت ايام السابقين من انس وجهاد وحدثان ان هنك رايا يقول : ان التاريخ الحق هو ما انتزع من انسانيات الفنان . وهذا الراى صحيح الى حد كبير ، لان المؤرخ المعاصر لا يقول كل الحقيقة ، اما لانها خفية محجوبة عنه ، واما جبنا ومواراة . وعندما ياتى المؤرخ بحق بعده باربعين سنة على الاقل ، فعليه ان يستشف الحقيقة من كل ما قاله معاصروها ، وساعتها عليه ان يلجأ الى الانسانيات .

ولو ان الانسانيات كانت مزدهرة ابان العصر المملوكى مثلا ، لسجلت لنا دور الشعب كاملا فى معركة المنصورة التى هزم شعبنا فيها الافرنج ، لان التركيز فى كتابات المؤرخين حينئذ كان على ادوار القادة المماليك والأمراء ، حتى لكانهم وحدهم ، هم الذين تحملوا عبء المعركة ولا احد غيرهم . ومن غير المستساغ عقلا ان يكون المماليك وحدهم قاتلوا وحققوا النصر ، لان عددهم آنذاك لم يكن يسمح بذلك . اذن اشترك الشعب فى القتال وحمل جهد المعركة وحقق النصر . ثم ذهب المماليك بكل الفضل لأن المؤرخين ركزوا عليهم ولم يذكروا غيرهم الا تبعا لهم .

والرواية عند « **فلوبير » هى الوثيقة التاريخية** بالذات) **حتى** ليرى انه **« ان يستطيع احد فى المستقبل ان يكتب تاريخ حكم (لويس فيليب) مثلا ، دون ان يعود الى بلزاك** ولعلى هنا اضيف الى الرواية ، الشعر ، والقصة القصيرة ، وما الى ذلك من كل ما يخطه القلم ليعبر به عن الانسان .

وربما كانت قصيدة « **المدينة** » لعبد الوهاب البياتى التى نشرتها له روز اليوسف من القصائد التى يلجأ اليها من يريدون الكتابة عنا مستقبلا لما تحمله الفاظها من جراة ، لذا وجب علينا ان نمعن ــ نحن المعاصرين للشاعر ــ النظر فيها ، فقد يكون فى ذلك خير لأجيال المستقبل .

فعندما حاولنا تفهم القصيدة تقفز الى ذهننا تفسيران :

ان تكون القصيدة رمزية . فالمدينة فيها رمز للمدنية التى لفت البشر فى دوامتها واداختهم بالبحث عن السعادة والراحة بين اعاصيرها ، وكلما جدوا وراء السعادة اوغلوا فى التعب والتمزق فلاهم وجدوا

ما يبغون من سعادة مرجوة ولاهم اراحوا انفسهم من عناء البحث ، حتى غدت حياتهم كما يراها الشاعر ، وكما سيقف عليها من لم يقرأ القصيدة من الابيات التى سنوردها بعد .

غير ان اول الابيات الثلاثةالأخيرة ردنا الىالجانب المضاد للرمزية ، وجعلنا نوقن ان الشاعر لايريد ان يرمز وانما قصد المدينة ، ولكن اى مدينة ، فعندما قال فى ذلك البيت :

وعندما غطى المساء عريها ، وخيم الصمت على بيوتها العمياء .

اكد بكلمة (**الصمت**) انه عنى المدينة بتقديم — الياء — وليس المدنية بتقديم النون . فالصمت لا تعرفه المدنية ابدا فهى والصخب صنوان لايفترقان فكل هذا الضجيج الذى تعج به الحياة ، وتترع به نفوسنا ، انما هو من صنع المدنية ولا شيء غيرها . المدنية اذن لا تعرف الصمت ، وانما التى تعرفه هى المدينة ، حقيقة قد لا تعرفه بكل قوته ، ولكن من الممكن ان نصفها به فى بعض حالاتها . بخلاف المدنية فاننا لا يمكن ابدا ان نصفها بالصمت .

لم يقصد الشاعر — اذن — المعنى الرمزى ، وانما قصد المعنىالحقيقى ، قصد المدينة — بتقديم الياء — ولكن اية مدينة ؟ انا شخصيا لم استطع التعرف على تلك المدينة من مدن مشرقنا العربى ، التى عناها البياتى بقصيدته،لانه لم يحددها تصريحا او تلميحا . اتراها ، القاهرة ، ام بغداد أم اية مدينة . وما دام الشاعر قد اطلق ، فمفهوم هذا الاطلاق انها البلد الذى نشر فيه الشاعر قصيدته (القاهرة) . فهل قاهرتنا كذلك ؟ اهى مدينة حزينة تغص بمباذل الساسة واللصوص والبيادق وتنصب فيها المشانق وتقوم السجون ، وتمتلىء بالضياع الخ .. الخ من السمات التى وسمها بها الشاعر ؟ لكانى بها مدينة اكلتها النار فلم يبق فيها انس ولا جان .

وعندما تعرت المدينة

رأيت فى عيونها الحزينة

مباذل الساسة واللصوص والبيادق

مدينتنا القاهرة ، ليست كذلك بالتاكيد . ولسنا مع الشاعر فى رؤياه القاتمة ، مدينتنا ساستها ثوار والثائر لا يعرف السياسة ونفاقها وغشها ، ومداهنتها ، لا يعرف الا الحق بلا موارية او لف ودوران ، لانها صفاتتتنافى معطبيعته ، ولو وجدت فيه واحدة منها لما ثار لان من يغش الآخرين سهل ان يغش نفسه ، ومن يخدع الآخرين ممكن ان يخادع نفسه . ومن يجوز عليه هذا لا يثور ابدا .

ومدينتنا لا يعيبها وجود اللصوص ، فاللصوصية مرض نفسي قبل ان يكون حاجة وعوزا ، فكم من محتاجين تأنف نفوسهم حتى مجرد التطلع الى ما ليس لهم ، وكم من ميسورين بل متقفين كل همهم خطف ما فى يد الغير . والمرض تشترك فيهالانسانية جمعاء .

والبيادق : ترى من يقصد بهم ؟ انه يقصد رجال جيشنا بلا جدال . فمن المعروف ان البيادق هم جند الشطرنج ، غير ان الشاعر عبر بالكلمة مجازا عن جند الجيش ، وقد يقول قائل ، ولماذا الجيش ؟ لم لا يكونون ، جند الشرطة ؟ ونقول لا ، لأن الشاعر عندما عنى جند الشرطة صرح باسمهم مباشرة كما نرى فى هذا البيت فى معرض رؤيته لله — تنزه عما قال :

مكبلا يبصق فى عيونه الشرطى واللوطى والقواد .

اذن الشاعر يصرح باسم جند الشرطة من غير موارية او مجاز . فلم يبق مقصود بالبيادق الا جند الجيش .

وفى رميهم بالمباذل نكران اى نكران ، وجحود لدورهم المنقذ فى حياتنا ، وقيادتهم الموفقة لنا ، فهم الذين اخذوا بيدنا واخرجونا من مستنقع الاستعمار والرجعية الذى كنا مجبرين على العيش فيه ، مجالين بوحله ،غارقين فى مائه الآسن . وكم من حادثة تشهد على ذلك حتى فيما قبل الثورة . ايلم كانوا هم ايضا مكبلين معنا . ومن تلك الحوادث انقاذهم لقاهرتنا الحبيبة من نيرون الشرق عندما اراد يوما ان يجعلها روما المحترقة فىالقرن العشرين فعندما نزل الجيش الى شوارعها ومباذل ساسة ذلك العهد ولصوصه تأكل قلبها وتكاد تحيلها الى كوم من رماد ، هربت امامه المباذل واختفى الغوغاء وكفوا عن السلب والنهب . ونزلت المياه فكشفت

الكرب وحجبت الاقدار . وتلك الحادثة بالذات تؤكد لنا بصراحة ووضوح ان بيادقنا حتى فى عصر سادت فيه المباذل وتسلط الفساد كانوا بمنأى عن كل ذلك . والشاعر يذكر تلك الحادثة كما نذكرها ، ولعله عاصرها وعاشها ماساة هزته كما هزتنا وواجهتنا بالطريق ، فلم نعد بعدها فى حاجة الى من يدلنا عليه ، ولم يعد امامنا الا ان نتخلص من مباذل الساسة والحكام والدخلاء علينا الذين — ربما الى ذلك الحين — كنا نرجو الخير على ايديهم . ولم يعد امامنا الا ان نعمل للخلاص منهم ، وكان خلاصنا على يد البيادق ، اخوتنا وابناؤنا . ومن يومها وهم يتولون عجلة القيادة ونحن سعداء بها ، لاننا لم نر عليهم شيئا نستهجن أو عملا نستقبح . وان كانت هناك من اخطاء ، فهى أخطاء السير فى الطريق — وسبحان من تنزه عن الخطأ — وعلى اكتاف البيادق فى جميع ارجاء وطننا العربى الكبير يصعد الشعب من تحت وحل الحكام ، وثورتنا العراق واليمن شاهد ثان .

والشاعر يرى فى مدينتنا اشياء عجيبة فهو يرى المشانق منصوبة . وكأنها تلتقف السابلة ويعلق بها الناس ، ويرى السجون قائمة وكأنها غول يبتلع بجريرة أو غير جريرة . وتلك الرؤيا يراها الشاعر وحده ، وكأنه وحده الذى يعيش فى المدينة من دوننا . وبودى أن اهمس فى اذنه ان مدينتنا لو كانت كما تخيلها ذات مشانق منصوبة وسجون معتمة لكان هو — بقصيدته تلك — اول المعلقين على عيدانها الملقين فى غياباتها ولكن مدينتنا تفتح له ذراعيها بعد ان جحد بها واى جحود اكثر من رؤيته لها بهذا الشكل :

رايت فى عيونها المشانق

تنصب والسجون والمحارق

والحزن والضياع والدخان

والشاعر يرى ايضا ، ان الانسان فى مدينتنا (**يلصق مثل طابع البريد**) على اى شىء . وبرغم جمال الصورة وطرافتها ، الا ان عيب لصق الانسان هذا ليس فى مدينتنا بقدر ما هو فى العصر الذى نعيشه وفى نفوسنا نحن ومطالبها التى تجعلنا عبيدا لها . واجب ان يتطلع الانسان الى افضل دائما ، ولكن خطأ أن يكون عبدا لتطلعاته هذه ، فيفقد ذاته وكيانه ويقبل أن يكون مثل طابع البريد يلصقه انسان آخر فى اى شىء :

رايت فى عيونها الانسان

يلصق مثل طابع البريد

فى ايما شىء ،

اما وجه الله الذى رآه الشاعر فى واجهة المخازن وتطلع النقود والمداخن ، ففى ظنى انه رآه من خلال المادة فقط ، يبدو ان المادة عند الشاعر هى كل شىء ، لذا راى ربه فيها يطل عليه من مخزن يتمنى ما فى داخله ، فهو عبد ما يتمنى . ويطل عليه من قطعة نقود يريد تملكها فهو عبد من يعطى .

وليس هو على كل حال اول المتجرئين على الله ، بقوله :

رايت وجه الله فى واجهة المخازن

وقطع النقود والمداخن

مجللا بالحزن والسواد

مكبلا يبصق فى عيونه الشرطى ، واللوطى ، والقواد

ولن يكون آخرهم ، فلو ان الناس تؤثر فيهم مثل تلك الجراة لكانت البشرية جميعا من عهد بعيد جاحدة منكرة . ولكن الجاحدين حتى الآن قطرة فى بحر لا يلتفت اليها او يحس بها احد . وان احس فلا تثير اكثر من الشفقة .

وفى النهاية نظلم الشاعر لو قلنا : انه أخفق فى الصنعة ، او لم يجد الحبكة ، او ضاع منه الخيط . فانه والحق يقال : كان فى كل هذا موفقا الى حد ما . فصوره تنبثق بشدة وتنطلق الى الامام بقوة وان تعثرت احيانا فى بعض النقلات . كما هو محسوس فى هذين البيتين :

يلصق مثل طابع البريد

فى ايماشىء ، رايت الدم والجريمة .



حول الاجماع
بقلم علي أحمد طلب

السيد/الدكتور محمد أحمد خلف الله

أشكر لك اهتمامك بتطوير الدراسات الاسلامية بحيث تتمشى مع واقع الحياة ٠ وتتناسب مع تقدم المجتمع ٠٠٠ وأستأذنك في تعقيب يسير على بعض ما جاء في مقالكم بالعدد «٦١» من الرسالة :

فيما يتعلق ٠ باعتبار الاجماع مصدرا من مصادر التشريع ٠٠ قلت متسائلا : متى ظهرت الدراسات الفقهية والأصولية التى اعتبرت الاجماع مصدرا من مصادر التشريع ، هل ظهرت فى عصر قبل عصر العباسيين؟ وماذا كان يفعل المسلمون قبل أن تنشأ هذه الدراسات ؟

وجوابا على سؤالك : أقول :

كان المسلمون يعتمدون على مصادر التشريع ومن بينها الاجماع ٠ لأن تأليف علم الأصول والفقه ٠لم يكن الا تنظيما وتصنيفا لما كان موجودا ومعمولا به قبل ذلك من أدلة الأحكام ومسائل الدين ومصادر التشريع ٠ فى صورة تناسب تقدم العلوم وتطوير المجتمع على نحو ما حدث فى كل علم من العلوم الأخرى كعلم التفسير والحديث ٠ والبلاغة ٠ والنحو ٠

والأمثلة على وجود الاجماع واعتباره مصدرا من مصادر التشريع ٠ قبل عصر التأليف ـ العصر العباسى ـ كثيرة جدا ٠٠ ومن ذلك ٠ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جمع الصحابة وسألهم عن جزاء شارب الخمر وغيرها من المسكرات ٠ فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : انه اذا شرب سكر ٠ واذا سكر هذى واذا هذى اعتدى ٠ وجزاء المعتدى (القاذف غيره) ثمانون جلدة ٠٠٠ ولم يعارض هذه الفتوى أحد من الصحابة فاعتبرت اجماعا ٠ وثبت حد الشرب ثمانون جلدة للشارب بذلك الاجماع ٠٠

والاجماع من حيث عده مصدرا من مصادر التشريع ٠ انما يستند فى اعتباره على أدلة من الكتاب والسنة ٠ فالقرآن والسنة حثا الناس على الاجتهاد ٠ وبينا ان اجماع المسلمين لايكون ـ أبدا ـ على جهالة أو ضلالة ـ كما أن المسائل التى أجمع عليها انما تدور فى فلك قاعدة كلية أو حكم عام من الكتاب والسنة ٠٠ فالاجماع بهذا ليس منفصلا عن الكتاب والسنة ٠ ولا زائدا عليهما ٠ وانما مقرر لأحكامهما ، فى المسائل التى لم يرد فيها حكم تفصيلى محدد ٠ وعلى هذا يفهم كثير من الاقوال التى ذكرتها لبعض العلماء مثل : لايمكن البتة أن يكون اجماع من علماء الأمة على غير نص من قرآن أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ ومثل : لابد للاجماع الذى يعتبر حجة وأصلا من أصول الفقه من سند من النصوص ٠٠

وختاما لك منى خالص تحياتى وتقديرى

الى السيد/ على أحمد طلب

ليس هناك نص من الكتاب أو السنة على أن الاجماع مصدر من مصادر التشريع ، وانما الذى حدث أن الذين قالوا بالاجماع من الفقهاء حاولوا أن يجدوا له سندا من الكتاب والسنة ، وكان ذلك على تأويل لبعض الآيات ٠

وليس يخفى أن النص الذى تتحدث عنه هو النص الظاهر البين الذى لايختلف الناس فى تاويله ومرة ثانية نقول : ان مصادر التشريع فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم الى نشأة الفقه واصول الفقه كانت :

١ ـ الكتاب

٢ ـ السنة

٣ ـ الاجتهاد

أما حادثة جمع الخليفة « عمر بن الخطاب » للصحابة فى موضوع شارب الخمر فهل تحقق الاستاذ على أحمد طلب من أن هذا الجمع استوعب الصحابة جميعا ، من كان منهم فى المدينة ، ومن كان فى غيرها كمكة ، والطائف ، وبقية البلدان المفتوحة ‥ أو كان وقفا على صحابة المدن ؟

ان المسالة هنا تشبه مانقول اليوم « اجتماع لجنة من اللجان » ، ولكن من المؤكد أنها ليست من قبيل الاجماع الذى يشترط فيه اجتماع جميع المجتهدين فى الدولة الاسلامية ‥ وشكرا للاستاذ على أحمد طلب

لاتظلم المعرى يا دكتور
بقلم الغزالى حرب

قال الدكتور محمد النويهى فى ختام مقاله المنشور بالرسالة العدد ١٠٨٠ وبعد أن حلل ونقد على طريقته المعروفة ، بيتين للشاعر الجاهلى القديم علقمة بن عبدة ، وهما قوله :

كأن ابريقهم ظبى على شرف
مفدم بسبا الكتان مرثوم

أبيض ابرزه للضح راقبه
مقلد قضب الريحان مفغوم

وفى ختام مقاله هذا قال مانصه « أترانا يجوز لنا بعد أن أنعمنا النظر فى هذا التشبيه ، أن نخالف أبا العلاء ، حين ذكر البيتين فى رسالة الغفران ، وقال عن علقمة : « خسر وكسر ابريقه » فنصيح : الا لا خسر علقمة ، ولا كسر ابريقه ‥‥ »

ونحن نقول للدكتور ما قاله أبو العلاء :

لا تظلموا الموتى وان طال المدى
انى أخاف عليكم أن تلتقوا

وقد ظلمت أبا العلاء يادكتور من وجهين :

اولهما أنك بجرأة عجيبة ـ ولا عجب ـ قد نسبت اليه أنه ذكر هذين البيتين فى رسالة الغفران ، وذلك مالم يكن والا فتفضل بارشادى الى موضعهما فيها ، وثانيهما أنك أوردت كلمته الداعية على علقمة بالخسران ، وعلى ابريقه بالكسر ، بطريقة توهم القارىء أن أبا العلاء المعرى ، لم ينعم النظر فى هذا التشبيه ـ كما أنعمت أنت ، ولم يفطن الى مافيه من روعة وجمال ـ كما فطنت أنت ‥‥ فانتهى به هذا « الغباء » ، الى الدعاء على الشاعر المسكين بالخسران ، وعلى ابريقه الجميل بالكسر ‥‥

وكان الأحرى بك ، يا استاذ الأدب العربى فى الجامعة الأمريكية ، أن تتحاشى مثل هذا التمويه على القراء ، والا تنسب الى أبى العلاء قولا منتزعا من ظروفه ، فالمقال بمقامه ، والنصوص بملابساتها ‥ وانصافا لأبى العلاء من الدكتور النويهى ، تسوق الى القراء نص ماقاله أبو العلاء ، وهو يحدثنا عن الفردوس ومن فيه وما فيه من شجر ظليل ، وولدان مخلدين ، وجعافر من الرحيق المختوم اى أنهار صغيرة من أطيب الخمور « وجعافر من الرحيق المختوم ، كما قال علقمة :

تشفى الصداع ولا يؤذيه صالبها
ولا يخالط منها الرأس تدويم

ويعمد اليها المغترف بكؤوس من العسجد ، واباريق خلقت من الزبرجد ، لو رآها أبو زبيد ، لعلم انه ماتشبب بخير ، ولو نظر اليها علقمة لبرق وفرق ، وعلم أنه قد طرق « ضعف عقله » ما ابن عبدة ومافريقه ؟ قد خسر وكسر ابريقه ، نظرة الى تلك الأباريق خير من بنت الكرمة العاجلية ، ومن كل ريق ضمنته **هذه الدار الخادعة ‥ »**

فأبو العلاء يادكتور انما يوازن بين أباريق الفردوس وأباريق الدنيا ، وكان طبيعيا أن تنتهى به الموازنة الى تفضيل أباريق الفردوس على أباريق الدنيا ، ومنها ابريق علقمة ،ولو انتهت به الموازنة الى عكس ذلك ، لما كانت رسالة الغفران هى رسالة الغفران ، ولما كان هنالك فرق بين طريقة «الدكتور» النويهى ونظرته ، وبين طريقة « التحورجى » أبى العلاء المعرى ونظرته ‥‥

رأوها بعين غير عيني فأصبحت
قلوبهم فيهـــا مخـــالفة قلبي

وأبو العـلاء يا دكتـــور ـ فيما أذكر ـ لم يذكر لعلقمة هذا من الشعر في رسالة الغفران الا البيت الذى أشرنا اليه آنفا في الفصل الأول من الرسالة ، وهو يحدثنا عن الفردوس ... وثلاثة أبيات أخرى في وصف النساء ، وفي الفصل الخامس وهو يحدثنا عن الجحيم ...

وأبو العلاء يادكتور لم يكن فى مقام النقد الأدبى لهذين البيتين ، اللذين لم يورد منهما حرفا واحدا ، فضلا عن ايرادهما كاملين ، ـ كما زعمت فى مقالك الممتع ـ وكم لك ياسيدى الدكتـــور من مزاعم فى كتاباتك وكتبك .

كل الحرية للشعب

بقلم علي مجاهد

الى الشاعر عبده بدوى .. بكل تقـدير تتبعت مقالاتك القيمة المتزنة عن شعراء الرفض فى لبنان. وقد كنت وأنا اتتبع هذه المقالات أعاني من الشعور بالضيق وقلة الصبر ، اذ كنت ألاحظ أنك تفتح الصدر فى نقاشك أكثر من اللازم ، ولـكن كان يعوضنى عن ذلك أن هذه المناقشة الموضوعية قـد تكون أجدى فى النتائج التى تتوصل اليها ، وخاصة واننا عانينا كثيرا من الاندفاع الأجوف .

ان المنهج الذى اتبعته في تقييم شعراء الرفض كان منهجا موضـوعيا ايجابيا استحق كل تقدير من قرائك ، وزاد من هذا التقدير انك اتبعت هذا المنهج مع من يعرف فيهم العداوة للقوميـة والثورة العربية .

ولكن ،ما اسفت له كل الأسف ،هو أن تختلط علينا الحدود ، فتسمـح مجلة الرسـالة ـ وهى مجلة يملكها الشـعب وتوجه لصالح الشـعب ـ بنشر مقـال الدكتور محمد النويهى « دفـاع عن شعراء الرفض » فاذا كان د . نويهى يفهم الحرية فهما ليبراليا مجردا مشوها ، فمـا أظن أن ادارة المجلة لديها مثل هذا الفهم الخاطىء المشـوه عن الحرية .

ولا حاجة لى أن اعود الى المناقشات التى دارت حول هذا الموضـوع منذ انعقـاد المؤتمر الوطنى للقوى الشـعبية ، خاصـة تلك التى دارت داخل المؤتمر نفسه بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين السـيد خالد محمد خالد ، فمنذ ذلك الوقت قد تحدد أن « الحرية كل الحرية للشعب ، ولا حرية لأعداء الشعب » ، وان فلول القوميين السوريين ، وصنائع فرنسـا ،وخدام الرجعية العربية ، وأعداء ثورتنا الاشتراكية ، لهم أعداؤنا واعداء الشـعب العربى فى كل مكان .

ردود قصيرة

● **الأديب سـامى سـيد محمد طه** ..ليس كل ما يعرف يقال ايها الزميل ، ونحن معك فى قولك « ان الاقلام التى تنحرف عن سبيل رسالتها قد حكمت على نفسـها بالموت لأن القارىء العربى اذكى مما تظن هذه الاقلام المشـبوهة » لعله يكون لنا معك لقاء آخر

● **الأديب حلمى محمد القاعـود** .. يأخـذ على الدكتور النويهى استماتته فى الدفاع عن شـعراء الرفض الذين لا يرفضون الا كل ما هو قيم ومضىء فى حياتنا (الدين والاخلاق والقومية العربية) . كما انه يأخـذ عليـه بدون مبرر اقحامه أعظم شىء تعتز به القـومية العربية وهو الميثاق فى معاركـه ويتساءل عن أى شىء يدل هذا ؟ كما أرسل قصيدة يهاجم بها « فرقة الرفض » .

● كما وصلت الكلمات الآتية

ابو هريرة بين عجاج الخطيب وابو رية .. بقلم **عبد المنعم البحيرى** طرائف .. بقلم **فريد عبد المجيد اسماعيل**

مأساة اديب ناشىء .. بقلم **نبيل احمد المنياوى**
تساؤل ورجاء .. بقلم **ابو اليزيد عرفه**
رسالة : بقلم **عزيز المراغى**
الرافعى .. بقلم **نجوى أحمد القاضى**
العقاد فى قفص الاتهام .. بقلم **نانان تاوضروس**
كلمة عن الشابى .. بقلم **عبد الكريم ابراهيم رجب**

وطنية العقاد .. بقلم**حامد محمد محرم**

قصة العدد :

المرآة الصاخبة

بقلم محمود حسن العزب

غادر المدرسة الخاصة ، وسخطه يتناثر على جدرانها ، وترك الناظر يتم حديثه مع الفراغ ، بعد أن قذف كراسة التحضير الى حيث لايدرى ، وسرعان ما احتواه الشارع ، واستنشق هواء جديدا ، وهز يديه كمن يتأكد من تحررهما ·· ولم يستطع أن ينفض عنهما غبار الطباشير ، وزفر ·· مرتين يود لو يطرد الغبار الآخر · وقارب ميدان السيدة تحف به أكتاف المارة ، ودس يده فى جيب بنطلونه وهو يشد قامته وداعبت أنامله قروشه الثلاثة فى قاع جيبه ، وخفض قامته بعد المداعبة ، وتقاطرت الهموم من خلال أنامله ، واجتذبته لافتات مطاعم الميدان ·· الفاتنة ! سيسلم لها قروشه الثلاثة كجندى محاصر يفرط كرها فى ذخيرته الاخيرة · وبرقت له فكرة وهو ينعطف فى الميدان ·· وتأنى مفكرا فيها ·· يستطيع قبل أن يهدر قروشه هذه أن يظفر بنجدة ·· فصديقه العزيز يسكن بالقرب من هنا ·· لم لا يستدين منه « شلنا » كاملا ·· وبشيد بمزايا الصداقة ؟!

وجابهته واجهة زجاجية لمحل تجارى ·· اطل فيها ·· انتابته الدهشة ·· أغمض عينيه برهة ·· نظر ثانية باستنكار واستغراب ·· اتسعت عيناه بالتحديق ·· شاهت صورة المرآة أكثر ·· هم أن يضحك ·· لم تخرج الا ابتسامة مهزوزة ·· مزورة انفتح فمه بسؤال مستغرب : من ·· من هذا ؟!

وتفرس فى الزجاج بنظرة مذعورة ، ولم يتحول عن الملامح الماثلة ، وراح يستشف منها جوابا أمينا ، ولم تكذبه عيناه فتسمر محدقا فى الشكل المغبر ·· وواتته سانحة ·· ماذا لو ·· يخترق الزجاج بنظراته ، ويمسك هذا الشخص ·· الماثل ·· ويسلمه للاسعاف ؟!

وطافت على شفتيه بسمة ، وتساءل كيف يجيب لو سئل : من هذا ·· وماذا تعرف عنه ؟ وسرعان ما طرد السانحة · وحف به كتف فزحزحه قليلا ، وعاود النظر الى الوجه الغريب ·· وجده تائها بين المعروضات الأنيقة ، يلتهمها بعينيه ، ويحدد درجات أذواقها ، وتخيله ينتقي بعضها ، ويقيسها على جسده كمن سيقدم على الشراء ·· وأحس نشوة الجدة ·· كان فى وسعه أن يشترى شيئا ·· لو قبض مرتبه لكنه لبس درع الكبرياء ضد عوزه ، وغادر المدرسة لاعنا الجميع ·· بلا روية ؛ ونفض الاحساس الحاد الذى يجتاحه وهو فى انتظارحسنة صاحب المدرسة لا أحد يعبأ بعوزه ·· نصحه صديق بالبحث عن مدرسة أخرى ·· اين هى الآن ؟ ·· وما ضماناتها ؟ سيحاول ·· لكن ·· كان يجب أن ينال أجره ·· ولما لم ينل أى شىء تفاقم احساسه بالمرارة حتى لم يعد يطيق رؤية سحنة الناظر الكالحة !·· لم يمل الرجل من المماطلة والتسويف·· ولم يحتمل·· قذف له بكراسته · وجرى وراءه أحد زملائه يستمهله ، ويذكره بظروفه ·· فلتذهب ظروفه الى الجحيم ·· الن يجد مدرسة أخرى ·· بابا آخر يعينه على اتمام تعليمه الجامعى ؟ ليكن ·· ففى تلك اللحظة كانت سحنة الناظر المماطل تثير فيه اشمئزازا هائلا·· هون عليه رفضه لأى شىء ·· حتى التريث ، وبدا حينئذ فى عينى زميله كمن فقد صوابه ·· « **الصواب** » ؟! ·· ورآه صبى بلا حذاء يهز رأسه فهز يده يطلب منه احسانا ·· وكاد أن يعطيه عنوان

مدرسته الخاصة ! ·· لم يفقد صوابه بعد ، ونقل نظرة ثانية بين المعروضات ، وبين خيـــاله التـائه وسطها ، ولفحت وجهه من جديد روائح الازياء فى الواجهة اللامعة ، واعتذر لنفسه بأن مثل هــــذه الروائح لا تخصه ·· لم يمكث اذن أمام الواجهـــة جامدا كواحد من الاشياء داخلها ؟ ان ما بداخلهـــا جديد على الاقل ·· صاحب المحل يرمقه بنظراته ·· ايظنه زبونا ؟ ·· لا طمع فى اعتبار نفسه زبونا ·· أليس من الحق اذن أن يبتعد حتى لايهين جدة الاشياء بوقوفه ؟ وهز رأسه قليلا ، ورفعه ·· لم يرتفع فى زجاج الواجهة ·· خيل اليه كما لو كان اقصر مما يعرفه ، الا يسرع بالذهاب الى صديقه ، ويستدين الشلن ؟ ان ما يخشاه الا يسعده القدر بلقائه ، او يستقبله زافرا فمعنى هذا أنه معوز هو الآخر !

وهبت ريح لعينـــــة حملت لأنفه روائح فلافل « توتو » ·· ما باله تغافل عن قربه منها ؟ ألا يعلم انه يطل فى واجهة المحل المجاور ؟ وداعب قروشه فى جيبه·· انه الآن ·· يتحرق شوقا الى الفلافل·· ولن ينكر انه اعرض عنها فى الصباح · كانت تداعبه قبل أن يجتاز باب المدرسة أحلام خطرة ·· استسلم لها ، وتركها تخدر حواسه ، وتطغى على رزانته ، وحرصه ·· وحواسه كلها ! وانتشى مقدما ·· وظلت احلامه تزين له اجتيــــاز باب المطعم الانيق المفتتح حديثا بالميدان ·· وابتهجت معدته لأحلامه الشهية، وظل يتلمظ مدة طويلة كأنما ذابت «الغدوة» الفاخرة فى حلقه ، وسلكت طريقها المرسوم · وصمت فى هذا الصباح عن لعنة المطاعم الجيدة ، ولم يعد يظنها أقيمت عمدا لتفسد علاقته بمعدته · وفى الحق انه أحس لأول مرة أن معدته «ذلولا» ترحب حتى بالطعمية واخيها الفول كوجبة مناسبة للافطار ، وساعده ذلك فى الحصة الأولى ، وشرح بابتهاج كلمة « ذلولا » فى احدى النصوص ، وكأنما كان يتوجه بالشرح الى معدته محييا · ولافتا نظرها الى ما بقى من الآية وكلوا من رزقه ·· والفول رزق يطيب لـــكثرة من الناس ·· وهو يكره من معدته أن تخرج على اجماع الكثرة ! ·

وعاودته النشوة عقب الحصة الثانية حين سمع حوارا بين جماعة من المدرسين : بالتأكيد·· ستقبض مرتباتنا اليوم ؟ ··

ـ هذا واجب فنحن فى تاسع يوم من الشهر ·

ـ ·· وبقية مرتب الشهر الماضى ؟

ـ الناظر صاحب المدرسة ·· وعد بالنظر فى مسألة الباقى ·

وانطفأت بروق النشوة ، وتدخل محتدا : ·· وعد بالنظر ؟ كيف ؟!

ـ وهل نحلم الا بوعوده ؟

ـ خليك مع الـ ··· الناظر لحد ساعة القبض !

« الوعود ؟ » ، لم لا تصـدق فى هـذا الزمان ؟ اينكر انه وعد معدته فى الصـــباح بغدوة حافلة ؟ وهرول الى حصـته قبل أن تكشف زيطة التلاميذ غيابه ·· ففى مثل هذه الأحوال لا ينسى الناظر أن يذكره بالواجب ·· والأمانة ·· والمســئولية ·· ثم الخصم المتوقع عن الاهمال ·· وكاد أن يضحك من حكاية الخصم هذه ·· وقذف بنفســه داخل غابته الصغيرة ، وشرعت أنياب وحوشـها الصـغار فى مداعبتـه ·· ولم يكن ذلك جديدا عليه ·· أين البشاورة » ؟ دائما تكشف له التجربة ان اى شىء يمكن ان يغيب عن الفصل ·· الا هو ·· كالكرسى او الطباشـير ·· حتى البشاورة ·· كثيرا ما تهرب فى فصل مجاور ·· واحيانا تتبادلها عدة فصـول كالكرة الطائرة · وسمع تلميذا يقرأ عبارة خاطئة « ··· واربعت بحيرات » ·· اربعة بحيرات ؟ اهمل تصحيحها وهمس لنفسه « ·· اربعة جنيهات ·· فقط ؟ كل ما تناوله من أجر عن الشهر الماضى ؟ ترى متى يحصل على الباقى ؟ متى يمسح بيده الورق الاخضر ، ويفرده ، ويطويه ؟ قيل له فى البداية ·· ستأخذ اثنى عشر جنيها فى الشهر ·· ثم أعيـــد خفضهم الى ثمانية ·· ولم ينل الا أربعة ·· ولو سار الحال على نفس الوتيرة لما بقى شىء ·· ويخشى ان حل الشهر التالى أن يطالب هو بأربعة جنيهات ·· نزولا على أسلوب التخفيض ! ·

ومر بيده على جبهته يمسح غبار الطباشير ، وهم ان يمسح الدرس قبل نهايته ، وآنئذ حاصرت سمعه اصوات ظنها فى شارع صــاخب : اســتاذ ؟ ·· أستاذ ·· خليك معانا ؟!

ـ استاذ ؟ ·· استرح ·· نؤجل الدرس ؟

ـ اشرح أنا ·· واحصل على المرتب ؟

ـ بكره يا اســـتاذ تروق وتحلى ·· اشرح ·· اشرح !

وثارت عروقه ، واندفع بقبضاته الى بعضهم ،ولم يشعر الا وقبضاته تنزل فى حين ارتفعت حـوله قامات فتية كالنخل تاهت وسطها قامته • واتجه نحو أحـدهم وسأله : انت ؟ •• فهمت ؟ •• ذاكرت ؟ •

ـ اقول لك الحق يا استاذ •• او ابن عمه •• فهمت •• انما حكاية المذاكرة ••••؟

ـ •• وساعة الامتحان ؟

ـ البركة فيك يا أستاذ •• عمتك معنا •

ـ الله •• الله !!

وصاح الشارع الصاخب بنغم واحد ممطوط : اعد يا أستاذ •• أعد • !

وضج التلاميذ بالضحك ، وزاط الفصـل كأنه استمع الى نكتة مثيرة ، وانقذه دق الجرس ، وأتاح له ان يتنفس بارتياح ، وبحث عن سيجارته ، وهم ان يبقى نصفها لوقت آخر لولا انلمحته عينمتلصصة وانعقدت سحابة الدخان ، وامتزجت باختها سحابة الجير ، وشرب نصيبه منهما معا • وعندما وعى ذلك هتف فى نفسه :

« يا الهى •• نجني من السحابتين !

وزفر بحرقة مسموعة ، وافاق على صوت فى المرآة يقول : وحد الله •• قل يارب !

كان يزفر بنفس الحرقة امام المرآة ، فبهتسطحها الشفاف ، وغام رأسه ••وخيل اليه هنيهة انجسده صار بلا رأس ، وهزه للاطمئنان ، وراعه ماتحته •• فهم أن يشيح عنه ثم همس : ألا تبتعد يا هذا •• سيشم الناس منك رائحة الطباشير !

وخشى أن يبتعد حقا ، ومعه قروشه • دس يده فى جيبه ، وقبض عليها ، وتنعمت كفه بمداعبتها ، وزحزح قدميه عن مكانهما •• شفت المرآة رأسـه التائه ملتحما بما تحته •• وعاد التناسق من جديد بين الأضداد •• وتفرس فى رأسه •• يكاد يكون منكسا كعلم فى يد جندى منحسب •• أهذا اذن الرأس الصلب كما وصفه حضرة الناظر ؟ لم لايظهر عيبه هذا على لسانه الا عند المطالبة بمرتبه ؟ آه •• الأنه يجادل •• وينكر حديث المماطلة والتسويف•• والاعتذار بمهلة جديدة ؟ اهو صلب وقاعه يذوب فى المرآة ؟ وتنبه الى شعر رأسه •• اين لونه الحقيقى كما عهده فى الصباح ؟ ومسحه بيده ليظهر من تحت غبار الطباشير •• لكنه ظل مختفيا تحت الغبار فبدا كما لو كان حفنة عكارة من ماء غسيل ! •

مدرسة خاصة ايها الرأس •• فلم تتـذمر •• وتنوح ؟ كيف يشاركك الآخرون عنادك وتذمرك ؟ عندما تموج رءوس المدرسين بالتذمر يشرف الناظر بنفسه حجرتهم بوجه مطلىبالقار ، ويقبل على الجميع محييا بحرارة وود كأب طال شوقه لأبنائه ، فاتحا كوة بيضاء فى صفحة القار ، وتنهال عليه التحيات ـ ولا أحد يدرى كيف ـ تحيات ولاء •• مزجاة لولى النعم، ويرى وجههكلوحة السبورة الخالية••وتتلاون وجوه السادة المدرسين ، وتصبح أمامه كالقابعين عند مدخل السيدة • بعد انسـحابه تسترد الوجوه المتماوجة تحياتها المبذولة هباء •• واستنجد الرأس الصلب بعناده المكتوم ، واوقف انسحابه•• وأشاح الناظر عنصاحب الرأس كأنما يشيح عن ذبابة لحوح تطارده •• لم يحفل صاحب الرأس بامتعاضـه وحركات يده المستاءة ، وانفجر فيه النـاظر ، انت راسك صلب •• افعل مايبدالك •• ، وفعل ما بداله فاذا كراسة التحضير تقـذف الى حيث لايدرى ! وخطواته تخف ملتمسة باب المدرسة ، وجرى وراءه أحد زملائه •• والتقطت أذناه همسا خافتـا ، •• ينقصه شىء من التريث •• من الدبلوماسية •• ، وكاد أن يلتفت ويصرخ ، •• انني حقا •• تنقصني اشـياء كثيرة ، من يدرى •• ربمـا يملك زميله الهامس فائضا فى جيبه•• أم لعله سيء الحال مثله؟! من يدرى •• فعلى أبواب السيدة انماط متفاوتة ، والخلاف فى طريقة الطلب •• الا يكون بسبب هذا متسرعا لم يحسن المطالبة ، وعزت عليه وعـوده نعدته ؟! ومادام غادر المدرسة خاوى الجيب الا من قروشه الثلاثة •• فليزن ما حدث •• وعليـه أن يوفر السخط ليوم جديد •• وليخفف الآن من حدة مشاعره ، ويتعلل بعون صديقـه •• المأمول •• وسيستجيب لفكرة البحث عن مدرسـة أخرى • لكنه اليـوم حرر نفسـه من تسويف الناظر ، ومماطلته ، واحس بارتياح كبير •• وأنه سيد نفسه لحظات • ما رايه فى فكرة العثور على دروس خاصة؟ وربما يستنجد باخيه • البعيد ذي الأولاد الثمانية •• ربما كالمستجير من الرمضاء بالنار ! أيندم على تسرعه ؟ أكانت أحلامه منذ الصباح هى السبب ؟

ها أنت أيها الراس العنيد في عرف الناظر ٠٠ ها أنت كففت عن التمرد المكتوم ٠٠ وجابهت به الغير ٠٠ فكيف ستجابه ، فجوة تحت حزامي لها سلطة واسعة ؟!

وتحسس المرآة مقتربا منها ٠٠ كبر رأسه وكأنما استهان بما تحته فانزلقت نظراته باطمئنان الى بقيته مارا بحذر بالفجوة الخاوية ، وطمأنها ـ مؤقتا ـ برائحة فلافل « توتو » ٠

وهز جسده كمن يعتدل تحت بدلته ٠٠ بدلته كشعره ٠٠ داكنة للغاية ! هذه وجهة نظر ٠٠ ما الفرق بينها وبين ملامحه ٠٠ كم تتوثق الصلات بينهما باطراد ؟! وتشجع ينفض غبارها ، واذا سحابة الغبار النائمة تستيقظ من مهدها ، وتحتج على صدق المرآة ٠٠ وتبهت لمعانها ، ويمتد احتجاج السحابة الى فمه وانفه فيعطس فجاة ، وتصخب نظرات صاحب المحل بالضيق والنفور من طول وقوفه يحملق في الواجهة ، وحاول أن يحتمي من نظراته بجاكتته ، انشغل باغلاق أزرارها ٠٠ وود لو يضحك ٠٠ مابال المرآة تضاعف من أوهامها في عينيه ٠٠ حين يغلق انسان أزرار جاكتته «تنسبك» وتنساب على جسده ، وتتآلف في شكل معين ، أما جاكتته فهي الآن كبطانية أهل صاحبها تسوية اطرافها ٠٠ فتراها كما لو كانت متهدلة مكومة ٠٠ على لاشيء !

وخشى أن يلتفت لكفيه المعفرين برذاذ الطباشير ٠٠ دسهما في جيبه ، وانثنى بجسده على احدى قدميه ومد الأخرى قليلا ، واحتوى شبحه كاملا بنظرة واحدة ، وهمس هلعا بلهجة مسرحية لايذكر متى سمعها : **يا الهي ٠٠ ألم ينفق الجواد بعد ؟!**

وهم أن يصرخ: النجدة ٠٠ الاسعاف!! وعاد يهدىء داخله ٠٠ بلا وعود ، ويغالط المرآة ٠٠ على طريقة صاحب المدرسة ، ثم يتريث ويقول لنفسه بهدوء : لا داعي ٠٠ بمن نستنجد ؟ ٠٠ بأحد ؟!

وشمل نظره المارة في الميدان ، واستقر في مطعم « توتو » ، وأفضى لنفسه : لا يوجد ٠٠ أحد ٠٠ الا ٠٠ الا الفلافل !

« محمود حسن العزب »



العدد ٦٣

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر